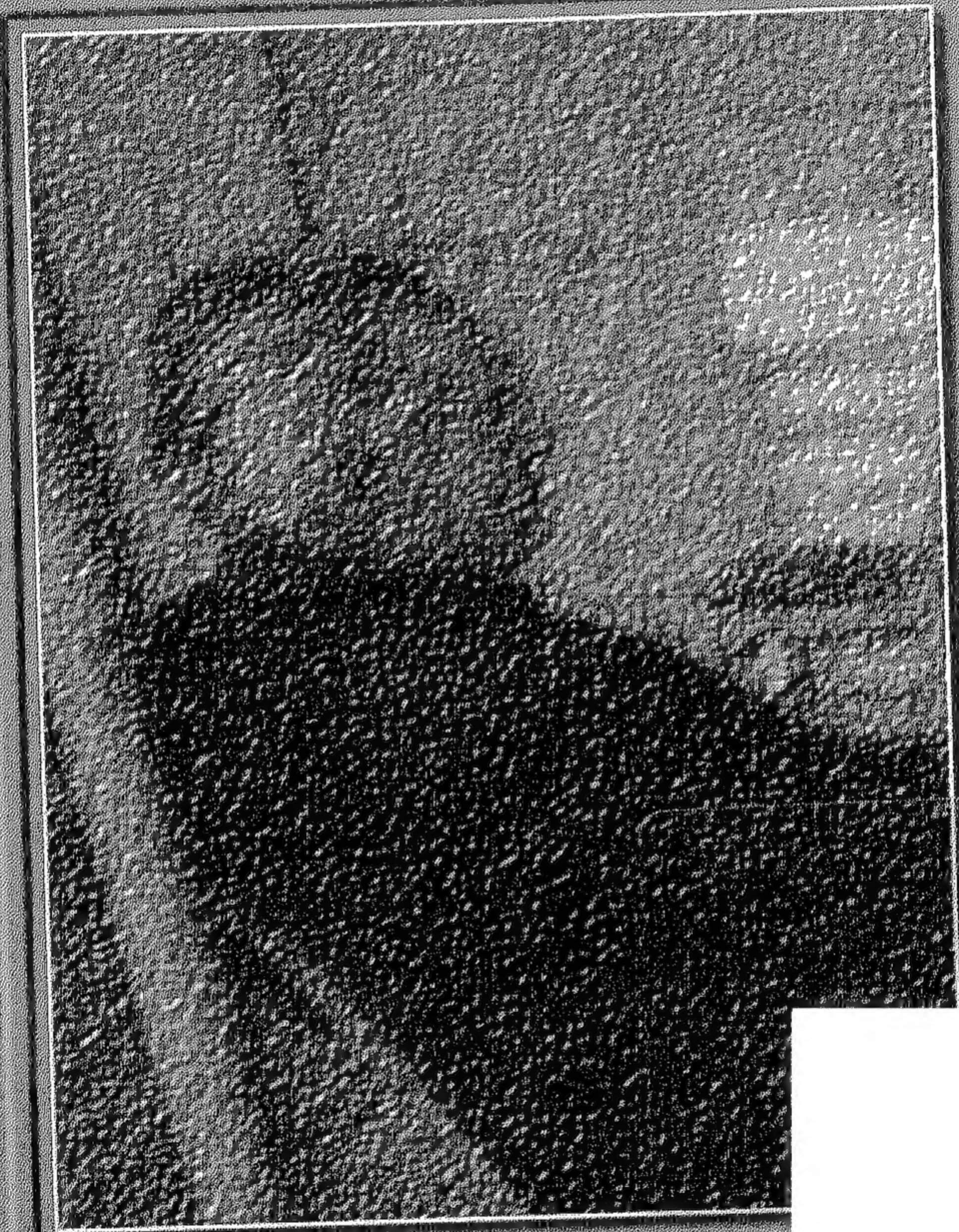


الديوانى العجوز



المشروع القومي لترجمة

سيرة ذات ثلاثة فصول
: ت. س. - إليوت
: فؤاد مجلى

المشروع القومي للترجمة

السياسة العجوز

(مسرحية ذات ثلاثة فصول)

تأليف

ت.س. إليوت

ترجمة

فؤاد مجلى

The Elder Statesman

A Play in Three Acts

by

T. S. Eliot

ت. س. إليوت

(١٨٨٨ - ١٩٦٥)

هذه آخر المسرحيات الخمس التي ألفها ت.س. إليوت . وقد عرضت أول مرة بمهرجان إدنبرة فى شهر أغسطس ١٩٥٨ ، عندما كان إليوت قد جاوز السبعين من عمره ، وبعد عشر سنوات من حصوله على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٨ ، وفى أواخر حياة حافلة بالشهرة والمجد .

وهى عمل مسرحى هادىء وعميق تتجاوب فيه أصدااء شتى لأفكار وخواطر سبق أن ترددت فى عديد من أعماله الشعرية والمسرحية ، كما تنعكس فيها بعض ملامح شخصية إليوت فى السنوات الأخيرة من حياته .

كانت زوجته الأولى قد توفيت عام ١٩٤٧ ، بعد زواج غير سعيد استمر خمسا وعشرين سنة . أعقبها انفصال دام خمس عشرة سنة . وفى عام ١٩٥٧ ، أى عندما أشرف إليوت على السبعين ، تزوج

سكرتيرته التى كانت تعمل لديه خلال السنوات السبع السابقة ، وعاش معها حياة هادئة هائلة ، عبر عنها فى الكلمات العاطفية الرقيقة التى يتضمنها الإهداء الذى صدر به إليوت هذه المسرحية .

كانت صحة إليوت قد اعتلت فى السنوات الأخيرة من حياته ، عندما عكف على كتابة هذه المسرحية التى تدور حول موضوع دينى يتناول العلاقة بين الإنسان والخالق ، وضرورة الخضوع لمشيئة الله والرضا بإرادته ، والتخلى عن وسائل الزيف والخداع التى قد يلجأ إليها بعض الناس ، وخاصة كبار القوم - لاكتساب هالة زائفة من الوقار ، وقناع مصطنع من الاحترام لإخفاء حقيقة شخصيتهم وعن يحتكون بهم ، سواء فى الحياة العملية ، أو المحيط العائلى .

والمحيط العائلى هو الذى تجرى فيه أحداث مسرحية السياسى العجوز .

الشخصية الرئيسية فى المسرحية ، اللورد كلافرتون - Lord Claver-ton ، رجل كهل ، معتل الصحة ، يعانى من أمراض الشيخوخة المبكرة ويعيش فى عزلة بعد حياة حافلة بالنشاط السياسى والعمل ، وبعد وفاة زوجته التى لم يكن بينها وبينه أى تجاوب عاطفى .

وتعيش معه ابنته مونىكا Monica التى تفكر فى الزواج من تشارلز Charles أحد أعضاء البرلمان البريطانى ، لكنها تؤجل ذلك رغبة منها فى ملازمة أبيها المريض وخدمته فى السنوات الأخيرة من

حياته ، وتشعر في إعداد الترتيبات اللازمة لمصاحبه أثناء إقامته خارج لندن في دار للنقاهاة ، بعد أن نصحبها الطبيب بملازمته أثناء فترة استجمام قد تكون الأيام الأخيرة في حياته .

والورد كلافرتون أيضا ابن يدعى مايكل Michael ، شاب أنانى مستهتر .

في الفصل الأول ، بينما يستعد اللورد وابنته لمغادرة لندن في اليوم التالي ، يأتي إلى زيارته - على غير توقع - زميل من زملاء الدراسة الجامعية في أوكسفورد يدعى كلفرويل Culverwell كان يعيش في إحدى دويلات أمريكا الوسطى منتحلا اسما هو غوميز Gomez ، حيث جمع ثروة طائلة بطرق غير شريفة خلال خمس وثلاثين سنة ، بعد أن قضى في إنجلترا فترة في السجن بتهمة التزوير . وها هو يعود الآن بدافع الحنين إلى الوطن ، ويأتي لزيارة اللورد كلافرتون .

ولايشعر اللورد بارتياح لرؤيته ، خاصة وأن غوميز هذا ينحو عليه باللائمة لفشله في دراسته الجامعية ، وفي حياته العملية بإنجلترا ، واضطراره إلى العيش في المنفى .

ويتأزم الموقف عندما يذكر غوميز صديقه السابق ، بحادث شخصي خاص بينهما ، خلاصته أنه أيام دراستهما بأوكسفورد ، عندما كان اللورد كلافرتون لا يزال شابا طائشا يدعى دك فيري Dick Ferry قبل حصوله على لقب اللورد ، ذهبوا سويا ، ذات ليلة مقمرة ، في جولة

بالسيارة وبصحبتهم فتاتان . كان (ديك فيري) يقود السيارة ، ومرت
السيارة - دون أن تتوقف كما ينبغي - فوق رجل عجوز راقد في
الطريق . هذا هو السر الأول الذى يخشى اللورد أن يعمد غوميز إلى
إفصاحه . وكان ما يريده غوميز هو وصل ما انقطع بينه وبين صديقه ،
على أن يكون هذا ثمن سكوته عن إفشاء ما حدث .

ويطالعنا السر الثانى فى الفصل الثانى من المسرحية .

فبينما كان اللورد كلافرتون يقضى فترة الاستجمام التى أمر بها
الطبيب فى دار للنقاهة يرتادها الأغنياء تدعى (بادجلى كورت) Bad-
gley Court ، وأثناء جلوسه فى الحديقة ، تقبل نحوه امرأة تدعى
(مسز كارجيل) Mrs Carghill ، تطلعه على حقيقة شخصيتها ،
وتذكره بأنها كانت فيما مضى نجمة استعراض غنائى ، اسمها (مىزى
مونت جوى) Maisy Mountjoy ، وتذكره أيضا بما كان بينهما من
علاقة غرامية كادت تنتهى بالزواج كما وعدها ، لولا أن والده حال دون
ذلك حرصا على مستقبل ابنه فى عالم السياسة ، ودفع مبلغا ضخما من
المال ثمنا لسكوتها وابتعادها عنه . ولكنها تحتفظ بالرسائل الغرامية
التي كان (ديك فيري) يبعثها إليها ، وتحملها معها دائما ، وتعرض عليه
أن تحضرها فى اليوم التالى لتقرأها عليه .

ويضيق اللورد بصديقه القديم غوميز ، وصديقته القديمة (مىزى) ،
ولا يطيق أن يتحمل صداقة رجل مشبوه أو امرأة ساقطة يظهران فجأة

أمامه كشبحين من أشباح الماضي .

وتأتى الثالثة الأتافى فى ظهور (مايكل) Michael ابن اللورد . ومايكل يكاد يكون صورة طبق الأصل من أبيه عندما كان فى سنه ، فى طيشه واستهتاره وعبثه بالنساء ، وقد أدى سلوكه هذا إلى فشله فى حياته ودفعه إلى التفكير فى الهجرة إلى بلد أجنبى يعيش فيه كما يحلو له ، ويهرب من شخصيته ، وينتحل اسما جديدا لايمت بصلة إلى اسم أبيه اللورد .

ويقدر ما كان امتعاض اللورد كلافرتون بما آلت إليه حال ابنه ، كانت بهجة غوميز ومسز كارجيل وأقبالهما على تقديم العون والنصيحة إلى مايكل ، لا من أجل المساعدة الخالصة ، ولكن تشفيا ورغبة فى الانتقام من اللورد فى شخص ابنه ، وأحس اللورد كلافرتون كأنه يرى شريط حياته يعرض أمامه من جديد وتتكرر سقطاته الماضية على يدى ابنه .

والهيكل العام لهذه المسرحية ، وتصوير إليوت لفكرة الماضي وأشباحه ، وما لهم من تأثير على الحاضر ، مقتبس من الدراما الإغريقية ، وهذا الاقتباس هو السمة الرئيسية التى تتجلى فى جميع مسرحيات إليوت وفى مسرحية السياسى العجوز ، التى يمكن أن نطلق عليها اسما ثانويا أو عنوانا آخر هو «صحوة الضمير» يعتمد إليوت على مسرحيتين من تأليف سوفوكليس .

المسرحية الإغريقية الأولى تدعى Oedipus King (أوديب ملكا) وهي أقدم المسرحيتين . وفيها نرى كيف أن البطل أوديب كان قد سبق أن قتل رجلا اعترض طريقه ، دون أن يدرك أن هذا الرجل هو أبوه (لايوس) ملك طيبة ، وتزوج أوديب فيما بعد امرأة وأصبح حاكما لطيبة ، دون أن يعرف أيضا أن تلك المرأة هي أمة . وعندما انتشر وباء الطاعون في البلاد جاء صوت الآلهة بأن القضاء على الطاعون لن يتحقق إلا إذا تم التخلص من ذلك الشخص الذي قتل الملك (لايوس) . ويشرع أوديب في البحث عن المذنب ، فيتبين له شيئا فشيئا أن الشخص الذي اقترف ذلك الذنب لم يكن أحدا سواه ، وتستطيع (بوكاستا) أمة وزوجته في نفس الوقت أن تدرك حقيقة الأمر وتشنق نفسها .. وعندما يكتشف أوديب بشاعة جرمه ، يفقأ عينيه ندما ، ويغادر البلاد .

وفي المسرحية التالية لسوفوكليس ، وتدعى Oedipus at Colon- nus (أوديب في كولونوس) ، نرى أوديب في كهولته ، بعد أن فقد بصره ، يجيء إلى مدينه كولونوس بالقرب من أثينا ، وتقوده ابنته أنتيجون Antigone إلى بستان يلوذ فيه بحماية ملك أثينا ، وترشده الآلهة إلى التعرف على الموضع الذي كتب عليه أن يقضى نحبه فيه . وهنا يزوره ابنه بولينيسيز Polyneices طالبا مساعدته ، لكنهما يختلفان ولا يقبل الابن نصيحة أبيه فيتنصرف . وهنا تعلن الآلهة من قمة جبل الأليمب الساعة التي كتب على أوديب أن يموت فيها ، فيمضى إلى حيث قدر له أن يلقي مصيره . ويختفى ثمناً لخلاص البلاد من لعنة

الطاعون ، وحلول البركة على الأرض .

وهكذا فإن أوجه التشابه بين مسرحية إليوت ومسرحيتي سوفوكليس واضحة .

أما من حيث أوجه الاختلاف فإنه إذا كان سوفوكليس قد صور لنا أوديب كرجل مسير بأمر الآلهة ، فإن اللورد كلافرتون يتمتع بحرية الإرادة وما ارتكب من ذنوب لم يكن بإيعاز من المشيئة الإلهية . ومع هذا فهو يحاسب نفسه حسابا عسيرا ، لأنه يرى أن ما فعله عندما داس جثة رجل فى الطريقة دون أن يتوقف ، وعندما حنث وعده بالزواج من عشيقته ، يرى أن ذلك من دلائل جبنه وتهربه من تحمل مسؤولية سقطاته ، لكنه ، فى نهاية المطاف ، يستطيع أن يواجه مصيره بريطة جأش ، تاركا بركته على ابنته (مونيكا) وخطيبها (تشارلز) .

وهناك موقفان شخصيان فى حياة إليوت نفسه تتردد أصدائهما فى هذه المسرحية : الأول موقف خاص بعلاقته بزوجته الأولى ، والثانى خاص بعلاقته بزوجته الثانية .

أما عن الأولى ، وكانت تدعى Vivian Haigh - Wood فقد تزوجها إليوت عام ١٩١٥ ، لكنها أصيبت بمرض عقلى أدى إلى انفصالهما .. كما ذكرنا فى بداية هذه المقدمة . طوال الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياتهما الزوجية ، إلى أن ماتت عام ١٩٤٧ . وهكذا كانت بينهما فجوة كبيرة لا شك أن ذكرها بقيت عالقة بذهن إليوت

وهى التى أوحى إليه بالكلمات التالية التى تتكرر على لسان اللورد
كلافرتون فى حديثه مع ابنته مونىكا فى الفصل الثالث من المسرحية .

- لم يكن بيننا أى تفاهم

وهكذا عشنا أيامنا ، وبيننا هوة عميقة من الصمت .

إلى أن ماتت فى صمت ، لم يكن لديها ما تقوله لى .

إنى طالما أفكر فى أمك وهى راقدة على فراش الموت .

لم يكن يهمها شىء من الحياة التى أدبرت .

ولا تبالى شيئاً بما عسى أن يقبل .

أما عن علاقته بزوجته الثانية Valerie Fletcher التى تزوجها
عام ١٩٥٧ ، فيكفى أن تقرأ الكلمات التى وردت فى الإهداء الذى صدر
به إليوت هذه المسرحية ، ونقارن بينها وبين الكلمات العاطفية التى
يتبادلها تشارلز ومونىكا فى الحوار الذى يدور بينهما فى فصول هذه
المسرحية .

تلك هى السمات الرئيسية لمسرحية «السياسى العجوز» خاتمة
أعمال ت.س. إليوت ، وكان قد كتب بعض أجزاءها وهو يقضى فترة
النقاهة من مرض صدرى كان يعانى منه فى السنوات الأخيرة من
حياته .

الشخصيات

Monica Claverton - Ferry	مونیکا کلافرتون فیری
Charles Hemington	تشارلز هیمنجتون
Lambert	لامبرت
Lord Claverton	الورد کلافرتون
Federico Gomez	فیدیریکو غومیز
Mrs. Piggott	مسز بیجوت
Mrs. Carghill	مسز کارجیل
Michael Claverton - Ferry	مایکل کلافرتون فیری

إهداء

إلى زوجتى

التي أدين لها بالبهجة المتوثبة

التي تحرك مشاعرى فى ساعات يقظتنا ،

والإيقاع الذى يضبط هجوع منامنا ،

والأنفاس التى توحد بين حبيبين ..

تخطر لهما نفس الأفكار دون حاجة إلى كلمات ،

ويتمتمان نفس الكلمات دون حاجة إلى معانٍ ،

أهدى إليك هذا الكتاب ، محاولاً قدر طاقتى ،

أن أرد إليك بالكلمات .

جزءاً يسيراً مما أغدقت على

والكلمات لها دلالات معروفة

ولكن بعض الكلمات ذات دلالات أكثر عمقاً

بالنسبة لنا أنت وأنا ، وحدنا

الفصل الأول

حجرة الاستقبال فى بيت اللورد كلافتون بلندن

الساعة الرابعة بعد الظهر

(تسمع أصوات فى الردهة)

تشارلز : هل والدك اليوم فى البيت ؟

هونيكا : ستراه وقت تناول الشاي .

تشارلز : ولكن حيث إنك لست بمفردك

فلا داعى لبقائى للشاي .

(تدخل هونيكا وتشارلز يحملان صناديق المشتريات)

هونيكا : ولكن يجب أن تبقى لتناول الشاي.

هذا هو ما فهمته منك عندما قلت لى إن بإمكانك أن

تقضى فترة بعد الظهر كلها معى .

تشارلز : ولكنى لم أتمكن من إنهاء حديثى معك أثناء تناولنا

الغداء ..

هونيكا : أنت الملوم .

فقد كان من الأفضل أن تأخذنى إلى مطعم آخر بدلا من

ذلك الذى يبدو أن رئيس الخدم وجميع ندله من أعز
أصدقائك .

تشارلز : لكنه المطعم الوحيد الذى يعرفوننى فيه معرفة شخصية ،
وأجد فيه خدمة جيدة ، وما دمت ضيفتى فلا بد أن يقدم
لك غداء ممتاز .

هونيكا : كان غداء ممتازا حقا .
لكنى أعرف أن الرجال يميلون إلى المباهاة وتهافت
الخدم حولهم .

وهذا يذكر ضيفتهم أنها ليست المرأة الوحيدة التى
اصطحبها إلى ذلك المكان .

تشارلز : عاكسينى كيفما يحلو لك .

ولكن إنه لأحسب ، هو ذلك الرجل الذى يصطحب
صديقه إلى مكان لا يعرفه فيه أحد ،
وحيث يبدو أن الخدم يتحاشون النظر إليه .

هونيكا : لقد خرجنا عن الموضوع ..

تشارلز : أنت التى أخرجتنى عن موضوعى . فبينما كنت أحاول
أن أشرح لك ..

هونيكا : الموضوع ببساطة هو بقاءك لتناول الشاى كما وعدتنى .

تشارلز : كل ما أود أن أوضحه هو ما يأتى :

إنك ستفادين لندن مع والدك يوم الاثنين وقد استعددت لأقضى معك فترة بعد الظهر كلها على أساس أن ..

هونيكا : أن تبقى لتتناول الشاي .

تشارلز : عندما قلت إننى سأبقى معك طوال الوقت بعد الظهر فهذا يعني أنك لن تتشغلى بأحد سوى طوال الوقت . ولم يتسع وقتنا فى المطعم لأقول لك كل شىء ، وبعد هذا اصطحببتنى معك فى جولة واسعة فى المحلات التجارية ..

هونيكا : إن كنت لا تميل إلى مصاحبتي أثناء التسوق ..

تشارلز : طبعاً أحب الذهاب معك إلى المحلات ، ولكن كيف يستطيع المرء أن يتبادل الحديث أثناء التسوق فيما عدا التكهّن بما تودين شراءه وتشجيعك على شرائه .

هونيكا : ولكن لمَ لا تبقى لتناول الشاي ؟

تشارلز : وهو كذلك ! سأبقى لتناول الشاي .

لكنك تعرفين أننى لن تتاح لى فرصة التحدث معك .

فمنذ أن تقاعد والدك عن العمل فهو يبقى فى المنزل كل يوم ، وها أنتما تستعدان لمغادرة لندن .

وحيث إن والدك لا يطيق أن يستأثر بك أحد سواه ، فقبل أن أفوه بكلمتين ، إذا به يقبل نحونا يتهادى فى

مشيته ..

هونيكا : ها أنت قد تفوهت بأكثر من كلمتين ، ~~وفضلاً عن ذلك~~ ،
فإن والدى لا يتهادى فى مشيته إنك لا تلتزم بمراعاة
الاحترام نحوه .

تشارلز : بل أحاول أن أراعى الاحترام ، لكنك تعرفين أننى لن
أستطيع الانفراد بك دقيقة واحدة .

هونيكا : وها أنت قد سنحت لك فرصة الانفراد بى دقائق عديدة
لكنك أضعتها فى التشكى دون داع .

أؤكد لك يا تشارلز أن والدى سيظل حبيس المكتبة طوال
الوقت ، ولن يغادرها إلا حين يدعى إلى تناول الشاي
فلمَ لا تبدأ فى الحديث ؟

على أنى أعرف جيداً ما تريد أن تقول لى ، فطالما
سمعت ذلك من قبل .

تشارلز : وسوف تسمعينه ثانية . إنك تظنين أنى سأخبرك مرة
ثانية أنى أحبك . وأنت على صواب .

لكن هناك أمراً آخر لم أشر إليه من قبل ، وسوف
تذهلين عند سماعه .

أعتقد أنك تحبيننى بالمثل !

هونيكا : يا لك من رجل يحب السيطرة !

يبدو أنك تتخيل أنك منوم مغناطيسي !

تشارلز : هل هذا هو وقت يليق فيه تعذيبك لى؟

لكن ، من الأتانية أن أقول هذا ،

لأننى أعتقد أنك تعذبين نفسك أيضا .

هونيكا : أنت على حق . إننى فعلا أحبك .

تشارلز : لقد كنت إذن على حق !

ففى اللحظة التى تفوهت فيها بهذه الكلمات انتبأبنى

شعور بالخوف ، إذ لم أكن واثقا من حبك لى ، ولم أكن

أريد إلا أن أطمئن إلى ذلك ،

وقد نجحت فى أن أجعلك تبوحين به .

وحيث إنك قد بُحت به مرة ، يجب أن تبوحى به ثانية

فما أحوجنى إلى مثل ذلك التأكيد .

أواثقة أنت أنك لم تخطئى؟

هونيكا : كيف تملكنى هذا الإحساس العجيب يا تشارلز؟

أعتقد أنه أقبل نحوى بخطوات فى غاية الرقة ، وظل

واقفا خلفى ، فى هدوء مدة طويلة ، طويلة جدا ، قبل أن

أتنبه إلى وجوده .

تشارلز : تبدو كلماتك كأنها آتية من بعيد ،

لكنها مع ذلك قريبة جدا .

إنك تحدثين فى تغييرا

وأنا كذلك أحدث فيك تغييرا .

هونيكا : ترى إلى أى حد أصبحت أنا أنت؟

تشارلز : وإلى أى حد أصبحت أنا أنت؟

إنى الآن لست الشخص الذى كنته منذ لحظات ، وما

كنته هذه الألفاظ الآن : أنا وأنت؟

هونيكا : فى عالمنا الخاص .. وقد أصبح لنا الآن عالم خاص ..

لقد تغيرت المفاهيم .. انظر ! لقد عدنا إلى نفس الغرفة

التي دخلناها منذ لحظات.

ها هو المقعد ، وها هى المائدة.

وها هو الباب .. وأنا أسمع وقع أقدام

إنه صوت (لامبرت) قادما بعربة الشاي ..

(يدخل لامبرت بعربة الشاي)

وسأقول له :

لامبرت ، أخير اللورد أن الشاي فى انتظاره.

لامبرت : حسنا يا آنسة هونيكا.

هونيكا : يسعدنى يا تشارلز ، أنك تستطيع البقاء لتناول الشاي

(يخرج لامبرت)

نعود الآن من عالمنا الخاص إلى دنيا الناس

تشارلز : وسوف يأتى والدك ، ويلقى كلمات ترحيب لطيفة تنبهنى إلى عدم الإفراط فى البقاء ، فأنت ملك له وحده .
يبدو أنه يزعم بكل بساطة ، أنك لاتهتمين بمجالسة أحد سواه!

مونیکا : أرجو ألا تفترض أن شيئاً مما قلت لك يخونك الحق فى انتقاد والدى فأولا ، أنت لا تفهمه حق الفهم وثانيا ، نحن لم نعقد خطبتنا بعد .

تشارلز : لكنا اتفقنا على أن كلامنا يحب الآخر وحيث إنه لا توجد أية موانع قانونية ألا يكفى هذا لقيام خطبة بيننا ؟
ألست واثقة أنك ترغبين الزواج بى ؟

مونیکا : بل إنى موقنة بذلك يا تشارلز،
عندما يحين الوقت المناسب .
ولكن ربما تكون قد غيرت رأيك آنذاك .
كما يحدث أحيانا بين الخطيبين .

تشارلز : لن أفعل هذا

(صوت طرق على الباب ، يدخل لامبرت)

لامبرت : عفوا يا آنسة مونیکا ، لقد طلب اللورد أن أخبرك ألا

تنتظري حضوره .

هونيكا : شكرا يا لامبرت

إنه مشغول الآن ، لكنه لن يتأخر كثيرا .

(يخرج لامبرت)

تشارلز : ألا ترين أنك تعذبيتنى ؟

كم يوما ستظلين حبيسة مع والدك فى ذلك الفندق

الفاخر الذى ستأخذينه إليه لقضاء فترة نقاهته؟ وماذا

سيحدث بعد ذلك؟

هونيكا : هناك عديد من الأسباب الوجيهة التى تبرر ذهابى معه .

تشارلز : أسباب أفضل من الزواج بى ؟ أية أسباب تلك ؟

هونيكا : أولا ، إنه يخشى الوحدة

فطوال حياته ، لم يجد نفسه وحيدا على الإطلاق ، وكان

عندما يعود إلى البيت فى المساء ، حتى وهو منهمك فى

القراءة أو تصفح أوراقه الخاصة ، كان يشعر بالحاجة

إلى وجود شخص معه بالحجرة ، شخص يقرأ ، أو لا

يفعل شيئا سوى مجرد الجلوس إلى جانبه ، بحيث

يمكن له أن يقطع ذلك الشخص ، أو يوجه إليه ملاحظة

من وقت إلى آخر .

وكان ذلك الشخص .. فى معظم الأوقات .. هو أنا

تشارلز : إننى أعلم ذلك . ومن دواعى الأسف أنه لم يكن هناك إخوة أو أخوات يتناوبون العبء . وعلى الأخص عدم وجود أخوات لك ، إذ إن أخاك لم يكن ذا فائدة قط لك .
مونیکا : ولن يكون مايكل ذا فائدة لأى إنسان.

فقد أفسدته أمنا بتدليله ،

وكان والدنا يعامله بمنتهى الشدة،

ولهذا فهما على خلاف دائما .

تشارلز : تقولين إن هناك أسباباً عديدة

تحملك على مصاحبة والدك.

هل هناك سبب آخر أفضل من خوفه من الوحدة؟

مونیکا : السبب الثانى هو نقيض السبب الأول

إنه يخشى لقاء أشخاص غرباء .

تشارلز : لكنه لا يتألق إلا وهو بين الناس

يحاورهم ويحاولهم ، متملقا أو متمترا ،

وهو سيد الموقف مع الجميع ! أشخاص غرباء ؟!

مونیکا : لقد أخطأت الفهم . هناك فرق كبير بين الالتقاء بالناس

وأنت فى موقع سلطة ، عليك سيماء الجبروت والنفوذ ،

عندما يكون الرجل الذى يلتقى به الناس ليس صاحب

الشخصية الخاصة ، بل الشخصية العامة . ففى مزاولة

نشاطه السياسى كان والدى يستتر خلف شعار عام .
وفيما بعد ، أثناء عمله مديرا لشركات عمومية ، كان
أيضا يخفى شخصيته الحقيقية ، ولا يظهر إلا
شخصيته العامة .

تشارلز : لقد أتقن إخفاء الجانب الخصوصى من شخصيته إلى
درجة تجعلنى أتساءل إذا كان حقا ذا شخصية خاصة
تستحق الحفظ .

هونيكا : نعم لديه جانب شخصى فى حياته .
لا شك لدى فى هذا .

تشارلز : حسنا ، لقد ذكرت سببين أحدهما نقيض الآخر .
هل لديك ثالث ؟

هونيكا : السبب الثالث هو ما يأتى :

سبب ذكره لى الدكتور (سيلبى) أخيرا :
إن حالته الصحية أخطر مما هو يدرك .

ومن يدرى ، فقد لا تكتب له العودة مطلقا من دار
النقاة . لكن الطبيب يريد تشجيعه بكل الوسائل
فإذا أحيينا فيه الأمل ، فربما عاش مدة أطول ، ولهذا
اختار الطبيب ذلك المكان (بادجلى كورت) دارا للنقاة .
فجوها كجو الفنادق ، يختلف عن جو المستشفيات .

وبها أفضل ما يوحى باستعادة الصحة والعافية .

تشارلز : هذا أفضل سبب ، كما أنه أيضا سبب يبعث على القنوط . فقد يطول ذلك الوضع ، وتضطرين إلى تأجيل الزواج مرة تلو المرة .

هونيكا : أخشى ألا يطول ذلك يا تشارلز . وأكاد أجزم بأن الترتيبات التي اتخذناها لتقضية فصل الشتاء في جمايكا ستذهب سدى ، لكن الطبيب قال : «استمرى في إعداد تلك الترتيبات كأنكما فعلا ستذهبان إلى جمايكا» .

ولكن دار النقاها قريبة من دائرتك الانتخابية ، ولهذا يمكنك أن تزورنا في عطلة نهاية الأسبوع ، حتى ولو كان البرلمان لا يزال في دورة انعقاده . ونستطيع أن نخرج معا ، أنا وأنت إذا تسنى لوالدى الاستغناء عنى بعض الوقت . وسوف يسعده أن يتجاذب معك أطراف الحديث.

تشارلز : أعرف أنه اعتاد رؤيتى من وقت إلى آخر .

هونيكا : لقد راقبته وهو ينظر إليك ، كأنه يستعيد ذكرياته عندما كان فى مثل سنك ، عندما بدأ حياته مثلك تراوده نفس الآمال ، وتحذوه نفس الأحلام ، ويتذكر أيضا آماله التي

لم تتحقق .

تشارلز : هل كان ذلك من قبيل الحسرة ، أم العطف ، أم الحسد؟

مونیکا : أما عن الحسد فهو شيمة الناس أجمعين فمن منا قد

تجرد من الحسد ؟

وقد لا يدرك هذا معظم الناس،

ولا يخلون من كونهم حسودين ..

وهذا هو كل ما نرجوه إذا اختلط الشعور بالعطف مع

الحسرة والحسد . إننى أعتقد يا تشارلز أن والدى مغرم

بك . لهذا يجب أن تزورنا كثيرا وشيء آخر يا تشارلز

(يدخل اللورد كلافتون)

مونیکا : طال انتظارنا لك يا والدى ! ترى ، ماذا كنت تفعل ؟

اللورد : مساء الخير يا تشارلز .

هل تعرفين ماذا كنت أفعل يا مونیکا ؟

ألا تذكرين هذا الدفتر؟

مونیکا : نعم ، هو دفتر مواعيدك.

اللورد : نعم ، كنت أتصفحة .

مونیکا : وهل هذا وقت تصفح دفتر المواعيد؟

لقد أشار الأطباء عليك بالراحة التامة

وعدم التفكير فى أى شيء

وإن كنت أعلم أن هذا ليس بالأمر السهل .

السورد : وهذا بالضبط ما كنت أفعل .

سونيكا : هل كنت تفكر فى لا شىء؟

السورد : كنت أتأمل فى لا شىء ،

لا تتسى أنتى كنت كل يوم ، سنة بعد أخرى ،

أنظر فى هذا الدفتر

وأنا أتناول الفطور ، أو فى مثيله من الدفاتر ،

وكما تعلمين ،

فإنى أحتفظ بالدفاتر السابقة كلها على نفس الرف .

ويمكنى ، إذا أردت ، أن أعرف بالضبط ما فعلته فى

مثل هذه الساعة من عشرين سنة ، واليوم أيضا ، إن لم

يكن أثناء تناول الإفطار ، فقبيل تناول الشاي ، كنت

أنظر فى هذا الدفتر ، وأقلب الصفحات الخالية التى

أعقبت دخولى البرلمان . كنت فى تلك الأيام أدون بعض

المذكرات عما كنت أعتزم قوله للناس . والآن .. ليس

هناك ما أقول ، وليس هناك أحد أقوله له .

وكنت أتساعل : كم صفحة مثل تلك الصفحات الخالية

كتب على أن ألقاها ؟

سونيكا : وما أسرع ما ستملأها إذا سمحنا لك بذلك !

ولكن هذا هو ما ينبغي على أن أحول دونه ، فمن
واجبى أن أحميك من نشاطك الذى لا يكل ولا يفتر ،
ومن طاقتك التى لاتفنى والتى تهدد الجهاز كله بالعطل !
السور : لقد نضبت موارد الطاقة كما تعرفين يا مونيكا .

إن الأطباء ينصحوننى بالتماس الراحة يا تشارلز .
ويشيرون على بالحذر ،

وبالتزام الهدوء والسكينة ! التزام الهدوء !
إنهم كمن ينحسون المسافر ألا يجرى خلف القطار فى
حين أن آخر ما قد يخطر على باله هو أن يركب قطاراً !
ليست لدى أدنى رغبة فى العودة إلى الحياة التى خلفتها ،
غير أن كل ما أخشاه هو الخوف من ذلك الفراغ الممتد
أمامى . لو كانت لدى طاقة تكفى لأن أعمل حتى الموت ،
فما أشد شوقى للقاء ذلك الموت .

أما الانتظار ، مجرد الانتظار دون رغبة فى القيام بأى
عمل ، مع النفور من الخمود والخمول ،
الخوف من الفراغ ، دون الرغبة فى ملء ذلك الفراغ ،
إنه كالجلوس فى حجرة انتظار خالية ،
فى إحدى محطات السكك الحديدية الصغيرة بعد أن
يكون آخر قطار قد غادر ، وآخر راكب قد مضى ،

وأغلق شباك التذاكر ، وانصرف الحمالون .
ماذا عساي أن أنتظر ، فى حجرة باردة خاوية ، أمام
مدفأة خالية ، لا أنتظر أحدا ، ولا أنتظر شيئا !

هونيكا : لكنك كنت تتطلع إلى هذا الوقت بالذات

ألا تذكر كم كنت تتململ

أثناء حفل التوديع الذى انهالت فيه عليك عبارات المديح
والإطراء من زملائك والهدية التى قدموها لك ، والخطاب
الذى ألقيته ، والخطب التى لم تجد مفرا من مواصلة
الاستماع إليها ؟

الورد : (يشير إلى الصينية الفضية التى لا تزال فى علبتها)

لست أدري أيهما كان أوقع أثرا :

الزيف الذى قيل عني ، أم الزيف الذى رددت به عليهم
لأشكرهم على تلك الهدية

لن أنسى التبرعات التى دفعوها صاغرين لشراء
هذه القطعة من الفضة

والتي لم تف بضمن ما يجب تقديمه لرئيس الشركة ،
وزملائي المديرين وهم يقولون : « لا مفر من المساهمة
لمضاعفة المبلغ الذى جمع ،
لكى نشترى شيئا ذا منظر جذاب » .

وسوف تصلح الصينية الفضية لاستلام بطاقات الزوار ،
هذا إذا كان هناك من سيزوره ويترك بطاقته ،
وإذا سمح له باستقبال زوار .

هونيكا : والدي ! يبدو أنك تود التلذذ بالاكْتئاب !
لا تنس أنك تقاعدت وحولك هالة من المجد والشهرة ،
واستمتعت بقراءة كل كلمة كتبت عنك في الصحف .

تشارلز : وقالت الافتتاحيات : «إننا على ثقة من أنه لن يتوانى عن
إسداء نصائح الثمينة لرجال الحكم» .
وأخذ الكل يتطلعون إلى الاستماع إليك .

وأنت تدلي برأيك في مناقشات مجلس اللوردات ..
اللورد : آيات المدح المنتظرة من رجال الصحافة عندما يتقاعد
أى كبير . ولو كنت قد توفيت أثناء قيامى بالخدمة ، فإن
نعبي كان سيشغل عامودا ونصف عامود ،
ومعه صورة أخذت لى قبل عشرين عاما .

ولكن بعد خمس سنوات سينكمش النعى إلى نصف المساحة ،
وبعد عشر سنوات لن يزيد على أسطر معدودات .

تشارلز : هذا جزاء كل من يشغل منصبا عاما .

اللورد : بل قل إنها المراسم الجنائزية لتوديع الناجحين الفاشلين ،

الفصل الثانى

شرفة (فراندة) فى دار (بادجلى كورت) للنقاهة ، صباح يوم
مشمس ، بعد عدة أيام تالية للفصل الأول .
يدخل اللورد كلافرتون ومونيكا

مونيكا : الحال هنا أحسن مما كنت تتوقع يا والدى
أليس كذلك ؟ فقد تركونا وشأننا .
وفى صالة الأكل لا يبدى الناس فضولا ولا تطفلا ،
والفراش مريح ، والمياه الساخنة ساخنة فعلا ،
ويقدمون لنا إفطارا مناسباً جداً ،
وخادمة غرف النوم لا شأن لها إلا بغرف النوم ،
إذ إننى عندما سألتها عن قهوة الصباح
أجابت قائلة : « لا علاقة لى بها ، فهى من اختصاص
المرضة » .

اللورد : نعم ، إلى هنا وكل شىء على ما يرام
وسيزداد شعورى بالاطمئنان بعد مرور أسبوعين ،
بعد مرور أربعة عشر يوماً نون حملة الناس فى وجهى ،

أو إقحام المجلات المصورة ، أو البحث عن زميل رابع

يشاركهم لعبة البريدج

وعلى أية حال ، لا أنكر أنني أشعر بشيء من الاطمئنان

واعتدال المزاج ،

وكل مرادى أن بدوم هذا الشعور ،

ذلك الذى يزاملنا أيام الشباب دون أن نكاد نلحظة ،

وبعد أن تتقدم بنا الأيام لا نراه إلا لاما .

كما أرجو أن تستمر هذه الشمس الحنون بدفئها الممتع

بضعة أيام أخرى :

غير أن هذا الصيف المبكر ، فى غير أوانه ،

غالبا ما يكون نذيرا بظهور الصقيع على أشجار الفاكهة

صونيكا : دعك من هذا يا أبى ، ولنستمتع بهذا

الجو الجميل قبل زواله .

إنك دائما تشغل نفسك ببواعث القلق الذى تتوق إلى

الهروب منه ،

وأريد منك أن تشرع فى التسرية عن نفسك .

السوردي : إننى لم أستمتع قط بالحياة كما يفعل معظم الناس ، أو

على الأقل كما يبدو أنهم يستمتعون بها دون أن يعرفوا

ذلك .

لكننى أعلم أنتى لم أستمتع بها . ويخيل إلى أن هناك
فى قرارة نفسى شعورا بعدم الرضى والارتياح ، ظل
يدفعنى طوال حياتى إلى البحث عن تبرير ليس إزاء
العالم بقدر ما هو إزاء نفسى أولا .

ما عسى أن تكون هذه النفس التى بداخلنا ، ذلك
الرقيب الصامت ، والناقد الصارم فى غير كلمات ،
القادر على إلقاء الرعب فى نفوسنا ، وحثنا نحو المزيد
من نشاط لا طائل وراءه ،

وفى نهاية الأمر يديننا بأقصى الشدة من أجل تلك
الأخطاء

التى لولا توبيخه لنا لما ارتكبناها ؟

مونیکا : لكنك لا تنكر أنك الآن تحس ببهجة الحياة

وبما يشيعه هذا المكان فى النفس من هدوء ودعة

وحتى الرئيسة ، رغم ما يبدو عليها من علائم السيطرة
والهيمنة قد تركتنا وشأننا .

الورد : نعم . ولكن لا تنسى ما قالته لنا ! لقد قالت :

«سأترككما وشأنكما ، فأنتما فى حاجة إلى الهدوء التام

وهذا هو ما ستوفره لكما دار (بادجلى كورت للنقاهاة)

هذه الكلمات أثارت الشكوك فى نفسى ، فعندما يتحدث

الناس بهذا الأسلوب .

تكون لديهم رغبة كامنة فى التدخل فى شؤون الآخرين .

وهى رغبة وشيكة الانفجار بكل تأكيد !

سونيكا : صه يا والدى ! إنى أراها مقبلة من هناك .

خذ صحيفتك ، وابدأ فى التلاوة بصوت مسموع

(تدخل مسز بيجوت)

مسز بيجوت : صباح الخير يا لورد كلافرتون ! صباح الخير يا آنسة

كلافرتون

أليس هذا صباحا رائعا ؟!

أخشى أن تشعرا أننى قد أهملتكما ،

لهذا جئت أقدم اعتذارى وأشرح السبب .

الواقع أننى كنت فى هذه الأيام الأخيرة فى غاية

الانشغال

لكننى قلت لنفسى : إن اللورد كلافرتون ، دون شك ،

سيقدر لماذا لم أسرع لرؤيته بعد الإفطار مباشرة ؛ إذ

إنه أيضا

كانت حياته حافلة بالمشاغل والمسؤوليات ، لكنى أرجو

أن تكون فى غاية الارتياح . إذا كنت فى حاجة إلى

شئ لم توفره لك أما عليك إلا أن تفصح لنا عن رغبتك .

اتصل بى هاتفيا ، وإن لم أكن فى مكتبى ستكون هناك
سكرتيرتى ، الأنسة تيمينز ،
وهى ستشعر بمنتهى السعادة إذا أتيح لها شرف
خدمتك

مونیکا : شكرا على مشاعرك الرقيقة .. ولكن معذرة !

لا نعرف بأى لقب نناديك

هل نطلق عليك اسم : «السيدة الرئيسة» ؟

مسز بيجوت : كلا ! كلا! بالطبع أنا الرئيسة ،

ولست أعنى أننى مجرد امرأة متزوجة ،

فالواقع أننى أرملة ، لكنى أحمل لقب ممرضة مؤهلة وقد

عشت دائما فى وسط يمكن أن نسميه وسطا طبيا فقد

كان والدى خبيرا فى علم الأقربانين

وكان زوجى جراحا شهيرا .

هل تصدقان أننى أغرمت به أثناء قيامه بعملية

استئصال زائدة دودية ؟

كنت ممرضة بغرفة العمليات . لكن لا تدعوانى «رئيسة»

هنا فى دار (بادجلى كورت) فقد راعينا أن نتجنب كل

ما من شأنه أن يضفى على المكان جو دار للمريض أو

الاستشفاء .

ولا نريد أن يحس ضيوفنا بأنهم مرضى وإن لم يكن
جميع نزلائنا بصحة موفورة ، فيما عدا من يكون هنا
مثلك يا آنسة كلافتون .

هونيكا : كلافتون فيري هو اسمي الكامل ،

أو فيري - من قبيل الاختصار

مسز بيجوت : عفوا يا آنسة كلافتون فيري .

أنا أدعى مسز بيجوت

يكفى أن تنادينى بهذا الاسم ، فهو بسيط ، وقصير ،
ويسهل تذكره .

كنت أقول يندر أن يكون نزلاؤنا ممن يتمتعون بصحة
جيدة ،

ولو أننا نرفض قبول أى نزيل يعانى مرضا مستغصيا
وقد انهالت علينا طلبات من مرضى يودون أن يقضوا
هنا أيامهم الأخيرة ،

لكننا لا نسمح بقبولهم ، ولا نقبل من يبدو عليه أنه يعانى
من مرض مستغصٍ ،

وهذا شرط نصر على أن يلتزمه الأطباء الذين يرسلون
مرضاهم إلينا .

ولهذا ، عندما تذهبان لتناول وجبة الغداء ،

أرجو أن تلقيا نظرة إلى الموجودين فى غرفة الأكل ،
فلن تجدا شخصا تبدو عليه علامات المرض ، إنهم
جميعا يقضون فترة النقاهة ،
أو جاعوا . مثلكما طلبا للراحة . وتذكرى أن تنادينى دائما
باسم مسز بيجوت ،

مونيك : حسنا يا مسز بيجوت . وبهذه المناسبة .،

كانت وصيفة غرف النوم قد أشارت إلى
وجود من تدعى بمرضة

لكننا لم نرها بعد . هل نخاطبها بلقب ممرضة ؟

مسز بيجوت : نعم فهذا وضع مختلف

إنها ممرضة حقيقية ، تحمل كل المؤهلات

وهكذا تلاحظان أننا نتبع هنا نظاما متوازنا :

فأنا ، بكل بساطة ، أدعى مسز بيجوت ،

وهذا يطمئن نزلاءنا من ناحية ،

وهناك من تدعى ممرضة ،

وهذا يطمئن النزلاء من ناحية أخرى

الورد : لقد شرحت لنا الوضع بمنتهى الوضوح !

مسز بيجوت : والآن ، ينبغى أن أمضى بسرعة ، فإننى مشغولة جدا ،

ولكن قبل أن أنصرف ، اسمح لى أن أغطيك بعناية .

ينبغي أن تحتاط إلى أقصى درجة فى هذه الأيام فهذا
الجو الدافىء ، قبل أوانه ، قد يؤدى إلى عواقب وخيمة ..
والآن - يبدو أنك أكثر شعورا بالراحة .

لا تدعيه يمكث فى الهواء الطلق مدة طويلة بعد الظهر
يا أنسة كلافرتون فىرى ،

وتذكرى : إذا أردتما مكانا فى منتهى الهدوء والسكون
فهناك الغرفة المسماة غرفة السكوت : بها جهاز تلفزيون
وتجد إقبالا كبيرا من النزلاء فى المساء ،
دون أن تكتظ بهم !

(تخرج)

اللوورد : هذا هو أخشى ما كنت أخشاه ، لكننى مع هذا لن أقول
ليس فى الإمكان أسوأ مما كان . فحيثما توجد امرأة
مثل مسز بيجوت ،

فقد يكون - بين النزلاء - من هى أسوأ من مسز بيجوت

مونىكا : لعل حديثها هذا هو مزيج الشراب الذى تقدمه تحية لكل
زائر جديد .

وعسى أنها بعد تأدية تلك الحفاوة الواجبة ،

ستتركنا وشأننا دون إزعاج

(تدخل مسز بيجوت مرة ثانية)

مسزيجوت : ما أشد إهمالى يا آنسة كلافرتون فيرى

ينبغى أن أشرح لك المزيد من الإمكانيات التى تقدمها
دارنا للشباب

فإذا تواجد لدينا عدد مناسب من الشبان والشابات
أقمنا حفلة رقص فى المساء ، وهذا للأسف ،
لا يتوافر الآن ،

وهناك حوض للسباحة ، لكن ليس هذا أوانها .
على أن العديد من نزلاننا يقبلون على ممارسة رياضة
التنس ،

ولدينا أيضا ساحة للعبة الكروكيه ، ولكنى لا أشير عليك
بالعب قبل أن تتوافر لديك معلومات كافية عن النزلاء
الآخرين تساعدك فى معرفة من منهم ينبغى تجنبه .
ولن أسمى أى أسماء

ولكن يوجد شخص أو شخصان لا يتقبلان الهزيمة
بصدر رحب ،

وهذا - فى رأى - كفيل بإفساد الروح الرياضية

سونيكا : شكرا يا مسزيجوت ، لكنى مولعة برياضة المشى وقد
قليل لى إن بهذه المنطقة ممرات فى غاية الجمال .

مسزيجوت : نعم ! وسوف أعيرك إحدى الخرائط .

هناك ممرات بديعة جدا ، على الشاطئ أو بين التلال ،
بعيدا عن طرق السيارات . ينبغي أن تتعرفى على أى
تلك الطرق هى الأفضل

ولا حاجة بى للاعتذار عن خلوها من الجلبة والضوضاء
فالهدوء والسكينة هما المبرر الأكبر لوجودنا .
ولهذا سأتربككما تنعمان بالهدوء والسكون

(تخرج)

هونيكا : أرجو ألا تتذكر شيئا آخر

الورد : ستعود لتخبرنا المزيد عن الهدوء والسكون

هونيكا : لا أعتقد أنها ستزعجنا ثانية

فقد أحسست من ملامح وجهها وهى تنصرف أنها قد
قامت بواجبها نحونا اليوم على خير وجه .

وسوف أقوم بجولة فى المنطقة . لا تنزعج إلى هذا الحد
إذا حدث أن لمحت شخصا مقبلا نحوك

فما عليك إلا أن تغطى وجهك بالصحيفة ، والتظاهر بأنك
تتظاهر بالنوم ،

لأنهم إذا ظنوا أنك نائم فعلا فسوف يسرعون إلى
إيقاظك ، أما إذا رأوا أنك تتظاهر بذلك فسوف تكفيهم
الإشارة

(بعد لحظة يغطي اللورد كلافرتون وجهه بالصحيفة ، تدخل مسز كارجيل ،

وتجلس على كرسي من كراسى الحدائق ، وتخرج أنوات الحياكة)

مسز كارجيل : (بعد لحظات) أرجو ألا أكون مصدر إزعاج لك ، إننى

أجلس هنا دائما . ففى هذا الركن يحظى الجالس بأكبر

قدر من أشعة الشمس والدفء .

وهذا هو ما لم يكتشفه أحد من النزلاء الآخرين .

لكنك - بفضل ذكائك - سرعان ما وجدته !

ترى ، ما الذى دفعك إلى اختياره ؟

اللورد : (وهو يبعد الصحيفة عن وجهه) ابنتى هى التى اختارته فهى

قد أدركت تلك المزايا التى أشرت إليها ويسرنى أنك

تتبين صحة رأيها ،

مسز كارجيل : إذن فتلك هى ابنتك ، تلك الشابة الساحرة ؟

إنها ذات عطف واضح على والدها .

كنت أرقبكما فى غرفة الأكل الليلة الماضية ،

أنت اللورد كلافرتون ، الرجل الشهير ، أليس كذلك ؟

كان أحد النزلاء قد ذكر أنك ستنزل ضيفا هنا ،

وأصبح هذا محور الحديث بين الضيوف .

لم أكن أصدق أن ذلك سيحدث فعلا !

وها أنذا جالسة الآن أبادلك الحديث .

يا للغرابية ، أن نلتقى أخيرا بعد مرور كل تلك السنوات ،
ولا يمكنك حتى أن تتعرف على !

أما أنا فباستطاعتي أن أتعرف عليك فى أى مكان
لكننا نحن كثيرا ما نطالع صورتك فى الصحف
ولهذا فكل شخص يعرفك حق المعرفة ، ومع هذا فكم
كنت أود أن توجه إلى مثل هذه التحية وتعرف من أنا يا
ريتشارد !

الـلـورد : عفوا ، ماذا تقولين ؟

مسر كارجيل : ألم تعرف من أنا ؟

الـلـورد : آسف لعدم تمكنى من ذلك .

مسر كارجيل : كنا ثلاث فتيات : أيفى ومودى وأنا ، ذلك اليوم الذى
أمضيناه سويا على شاطئ النهر ، إنه يوم لن أنساه
مطلقا ، كان نقطة التحول فى حياتى كلها .

ترى ما هى أسماء أصدقائك أولئك ؟

ومن منهم هو الذى دعانا إلى الغداء؟

الحق أن أسماءهم قد محيت من ذاكرتى

وأنت أيضا ، كنت قد دعوتنا إلى الغداء .

لا أذكر اسم الفندق

كان غداء شهيا وبعد هذا ركينا قاربا سار بنا فى النهر

وكانت معنا سلة بها لوازم الشاي ، فتناولنا كعكات فى
منتهى اللذة

لا أذكر الاسم الذى أطلقته عليها .
ثم طلبت منى أن أقوم بالتجديف ، فابتلت كل ملابسى ،
وكاد المجداف أن يسقط من يدي ، ففقهتهم كلكم ضحكا
منى .

ألا تذكر ذلك ؟

الـلـورد : أرجو أن تواصلى حديثك

فكلما ذكرتني بشيء تداعت الذكريات فى مخيلتى
مسز كارجيل : وراح ثلاثتنا يحدثنكم ، إيفى ، ومودى ، وأنا ، إن ذلك
يبدو كأنه حدث منذ زمن بعيد جدا ، لكننى أتذكر كل
شيء بالتفصيل !

لقد أعجبت بك منذ أول لقاء لا أدري لم ، ولكن هكذا
شاءت الظروف .

وقلت لنفسى : «ها هو رجل يمكننى أن أتبعه حول
العالم!» لكن (إيفى) - وأنت تعرف حدة ذكائها -
حذرتنى قائلة : «إن فعلت ذلك ، فسوف تضحين بنفسك
سدى» . وأضافت : «حذار ! ذلك الرجل سيتخلى عنك ،
فهو غير جدير بثقتك ، «إنه رجل أجوف!» تلك كانت

كلمات إيفى

ترى ، هلى قالت : «رجل أجوف» أم «رجل أخرق»؟ لا
أذكر بالضبط .

إنك تذكرنى الآن يا ريتشارد ، أليس كذلك؟

الـلـورد : نعم أذكرك ، وإن كنت لا أذكر ذلك الحديث الذى
تشيرين إليه .

مـسـز كـارـجـيل : لقد تركت يد الزمن تأثيرها علىّ يا ريتشارد ! كنت -
فيما مضى - رائعة الجمال ، على حد قولك ولكن ، ما
دمت تذكرنى يا ريتشارد ، هلا ناديتنى باسمى مرة ،
مرة واحدة يا ريتشارد ،

ذلك الاسم الذى كنت تعرفنى به

أية نشوة تلك التى سأحسها ،

إذا فُهِت باسمى مرة واحدة !

الـلـورد : كان اسمك مـيـزى بـاتـرسـون .

مـسـز كـارـجـيل : كلا ، يـارـيـتـشـارـد

أنت تعلم أنى أقصد اسمى المسرحى ، الاسم الذى
عرفتنى به عندما التقينا

الـلـورد : مـيـزى مـونـت جوى .

مـسـز كـارـجـيل : نعم ! مـيـزى مـونـت جوى .

كنت أنا ميسى مونت جوى يوما ما ! ومع ذلك لم تستطع
أن تعرفنى !

الـلورد : لقد غيرت اسمك ، دون شك ، وأنا أيضا قد غيرت
اسمى ، ما اسمك الآن ؟

ميسى كارجيل : ميسى جون كارجيل

الـلورد : إذن فقد تزوجت منذ سنوات ؟

ميسى كارجيل : نعم ، كان زواجى الأول قبل سنوات عديدة ،

لكنه لم يدم طويلا . فهناك مثل يقول :

إن أخطأت فى الحب مرة فسوف تخطىء مرة تلو المرة ،
ما أصدق هذا المثل ! كان الشاب المدعو (الجى) ضعيفا ،
لكنه كان بسيطا ،

لم يكن .. كغيره - مراوفا مكيرا .

ثم تزوجت المستر كارجيل . كان يكبرنى بعشرين سنة ،
وكان هذا ما أريد بالضبط .

الـلورد : ألا يزال حيا يرزق ؟

ميسى كارجيل : كان قلبه يعانى من الضعف ،

وكان يجهد نفسه فى العمل

ألم تسمع قط عن شركة (أجهزة كارجيل) ؟ إنها شركة
تنتج أثاث المكاتب

السورد : كلا لم أسمع عنها ، فلم يكن لى شأن بموضوع الأثاث ،
لكن ، لعلها كانت شركة ناجحة ،

أعنى أن تكونى قد ورثت عن زوجك ما يضمن لك عيشا
رغدا ؟

مسز كارجيل : وهل كان طبيبى يجرؤ على إرسالى إلى هذه الدار
للاستشفاء لو لم أكن من الأثرياء ؟!

حقا إنها لصدفة غريبة يا ريتشارد ، أن نلتقى هنا -
أنت وأنا - أخيرا ،

هنا ، وليس فى مكان آخر !

السورد : وماذا تعنين بهذا ؟ إنى لا أفهم لماذا تنتهزين أول فرصة
تجديتنى فيها هنا .

لأحياء ذكريات قديمة ، كان الأحرى بكلينا أن ندعها
دفينة فى طيات الماضى .

مسز كارجيل : لقد جانبك الصواب يا ريتشارد !

كانت (إيفى) حقا فى منتهى الذكاء !

طالما قالت لى : «ريتشارد لا يفهم طبيعة النساء ، إن

أية امرأة تضع ثقتها فيه ، سرعان ما تدرك الحقيقة» .

إن الرجل قد يتناسى كل النساء اللائى أحبهن أما المرأة

فهى لن تنسى أى واحد ممن أعجبوا بها ، وحتى

العاشق الخادع ، لن يغيب عن ذاكرتها ، بل سيبقى
كأنه شهادة على الماضي . إن الرجال يعيشون بفضل
التناسى ، أما النساء فلا يعشن إلا على الذكريات .
وقضلا عن ذلك ، ليس هناك ما يجعل المرأة تشعر
بالخزى ، أما الرجل فهو يحاول دائما أن ينسى سلوكه
المخزى .

السور : ألم يدفع كل منا ما عليه من حساب ؟
أى ذنب اقترفنا ؟ لقد تعلمت أنا درسى ، كما تعلمت
أنتِ درسكِ ، إن كنتِ فى حاجة إلى دروس .

هسزكارجيل : يبدو أنك لا تصدق أننى كنت مشغوفة بحبك . لكن هذا
أمر طبيعى بالنسبة إليك . لكنك تظن ، أو تحمل نفسك
على الظن

بأننى إن كنت قد قاسيت من الأمر فعلا ، فما كان يجدر
بى أن أتى

وأعرفك بحقيقة شخصيتى ، وأحدثك عن ذلك الماضى !
لكنك مخطئ فى هذا الزعم ، فالحديث عن الماضى -
ماضيك وماضى -

يبحث على السرور بقدر ما يبحث على الألم . قد تكون
تلك الذكريات مؤلمة ، لكنى أعتز بها .

السور : إن كان قلبك فعلا قد تحطم وانكسر فلماذا إذن أقدمت على فعل ما فعلت ؟

مسز كارجيل : ومن ذا الذى يعرف أن القلب قد انكسر إن كان قد رتب صدعه ؟ ولكنى أعى ما تقصده . إنك تقصد أننى لو كنت حقيقة أكن لك أى مودة ما كنت أقدمت على مقاضائك لإخلاك بالوعد . يا له من هراء عاطفى ! إن المرء يقيم الدعوى لمجرد شعوره بضرورة اتخاذ أى إجراء .

ربما لم يكن ينبغى أن أقبل فض الخلاف بالتسوية خارج المحكمة ، لكن المحامى قال لى : إنى أنصحك بالقبول ، لأن المستر فيرى سيرشح نفسه للبرلمان وقد علق أبوه عليه أما لا كبارا فى ميدان السياسة ، وإذا حدث أن خسر دعوى الإخلال بالوعد سيتردد بعض الناس فى تأييده ، وأضاف المحامى قائلاً : « إن المبلغ الذى عرضه محاموه لفض الخلاف هو فى اعتقادى ضعف المبلغ الذى قد تحكم به المحكمة لصالحك » .

أما صديقتى (إيفى) فكانت تعارض فكرة التصالح ، وتفضل فضيحتك .

لكننى تنازلت ، ولم أشأ أن أقضى على مستقبلك إذا أنا

مضيت فى الدعوى ،

وفى تلك الحالة كان من الممكن ألا تصبح اللورد
كلافرتون .

وهكذا يعود لى الفضل فى إرساء قاعدة مجدك .

اللورد : وأيضا فى ضمان رفاهيتك فى نفس الوقت .

إنى لأذكر أن ذلك حدث قبل عام أو عامين من بدء ظهور
اسمك مكتوبا بأحرف ضخمة على واجهات المسارح
بحى شافيتسبيرى .

مسز كارجيل : نعم كان لى نشاطى الفنى

ألا تذكر النجاح الذى أحرزته أغنيتى الشائعة «لم يمض
بعد أوان حبك لى»

ولولا ما قاسيته ما استطعت أن أنجح فى التعبير عن
أحاسيسى كما فعلت فى تلك الأغنية .

هل استمعت لى وأنا أغنيها ؟

اللورد : نعم ، سمعتك تغنيها

مسز كارجيل : وماذا كان شعورك ؟

اللورد : لاشيء على الإطلاق . وأذكر أننى دهشت لانعدام أى رد
فعل لدى .

وقلت : إن لحسن حظى وحظك أننا لم نرتبط كلانا

بآخر .

مسز كارجيل : بل يخل إلى يا ريتشارد أنك لم تفكر إلا في حسن
حظك وحدك !

ألم تشعر بأي حرج ؟

الورد : وما الداعي للشعور بحرج ؟ كان ضميري مرتاحا .
كان ما بيني وبينك مجرد افتتاح عابر ،
انتهى بالحل الوحيد الذي يحقق رضا الطرفين .

مسز كارجيل : تقول : كان ضميرك مرتاحا !

يندر أن أسمع الناس يتحدثون عن ضمائرهم إلا ليقولوا
إنها مرتاحة

لقد تخلصت من المأزق مقابل دفع مبلغ كبير ، ودون أي
فضيحة .

وكان ضميرك مرتاحا

أعتقد أنك لا تزال ، في قرارة نفسك ، كما كنت دائما
ذلك الشاب الأحمق ريتشارد ، عندما أردت أن تبدو
كأنك رجل واسع الخبرة .

والآن ، أعتقد أنك تريد أن تبدو رجل دولة خبير ومحنك .
غير أن الفرق بين رجل الدولة الخبير حقا ، وذلك الذي
يدعى أنه كذلك إنما هو فرق طفيف .

وكننت دائماً تنجح فى كل دور تقوم به .

الـورد : لم يعد هناك دور أقوم به يا ميسى .

مىزكارجيل : بل ستظل تلعب دورا ما إلى النهاية

ستلعب دورا حتى فى نعى وفاتك ، بغض النظر عمن

سيكتب ذلك النعى .

الـورد : على الرغم من مرور سنوات عديدة على معرفتك لى

ورغم قصر فترة تلك المعرفة ، فإنى مندهش

لتلك الثقة التى تبدينها فى تفهمك لشخصيتى .

مىزكارجيل : لقد تتبعت نشاطك سنة بسنة يا ريتشارد .

وصحيح أن علاقتنا كانت وجيزة

إلا أنها ، فى رأى ، كانت بالغة العمق

بحيث استطعت أن أتبين بعض مظاهر شخصيتك .

كلا يا ريتشارد ! لا تتخيل أنى ما زلت أحبك

ولا داعى لأن تتخيل أنى أمجد ذكراك

كل ما فى الأمر هو أننى أشعر أن بينى وبينك شيئا ما

أرجو ألا يزعجك كلامى . لقد لمست بأصبعك كيانى ، بل

إنك قد نهشته نهشا ، وما زال الجرح فاغرا !

وأنا أيضا أشعر أنى قد لمست مشاعرك ، ومما يبعث

على الرعب ذلك الشعور بأننا لا نزال معا ويبعث على

الهلح أننا سننظل على الدوام معا . إني أذكر عبارة
قرأتها في كتاب : «لن نخمد نيرانهما قط!» أتدري ما
الذي أفعله كل ليلة ؟ إني أقرأ رسائلك لي .

السور : رسائلتي ؟

مسز كارجيل : أنسيت أنك كتبت لي عدة رسائل ؟

لم تكن بالكثيرة ، لكن بعضها يستحق الحفظ ،

رسائل معدودة ، لكن ما أجملها !

كانت (إيفي) هي التي قالت عندما تمت القطيعة بيني
وبينك :

«هذه الرسائل تعادل ثروة طائلة ياميزي».

وكان من الممكن تقديمها أثناء المحاكمة ، لو كانت هناك
محاكمة .

ألا تذكر رسائلك لي ؟

السور : لا أذكر بالضبط هل كانت رسائل عاطفية ؟

مسز كارجيل : كانت تفيض بالحب . أتريد أن تقرأها ؟

يوسفني أني لا أستطيع إعطاءك الرسائل الأصلية فهي
محفوظة في خزانة المحامي ، لكن لدى نسخ منها ، نسخ
طبق الأصل ، يطيب لي أن أقرأها وأأمل خط يدك .

السور : وهل أطلعت كثيرين على تلك الرسائل ؟

مسز كارجيل: لم أطلع إلا بضع صديقات عليها .

وقالت (إيفى): «إذا قدر له أن يصبح رجلا مشهورا ،
وكنت فى ضائقة مالية ، يمكنك أن تعرضى تلك الرسائل
للبيع فى مزاد علنى ،

سأحضر نسخة من تلك الرسائل صباح الغد ، وأتلوها
عليك .

.. ها هى مسز بيجوت قادمة لتتقضى علينا .

ما أفضعها ! إنها لا تكف عن الثثرة ؟ أتحملها ؟
إذا أنا انصرفت الآن ، فربما تفهم الإشارة ،
وتتركنا وشأننا غدا !

طاب صباحك يا مسز بيجوت ! أليس صباحا رائعا ؟

(تدخل مسز بيجوت)

مسز بيجوت: صباح الخير يا مسز كارجيل .

مسز كارجيل: يا عزيزتى مسز بيجوت ، يبدو أنك لا تهدين قط ، بل
تضحى بنفسك من أجلنا .

مسز بيجوت: هذا هو أهم شىء فى حياتى ، أن أعتنى بضيوفى ،
ويسعدنى أنهم يحتاجون إلى حقا .

مسز كارجيل: إنك تحسنين رعايتنا يا مسز بيجوت

فأنت فى غاية العطف والإشفاق

مسزبيجوت : وينبغى لى أن أقوم بتقديم أحدكما للآخر :

أنت تتحدثين مع اللورد كلافرتون ،

اللورد كلافرتون الشهير ،

وهذه هى مسز كارجيل .

أنتما ضيفان من خيرة ضيوفنا .

لقد خطر لى أن أجيء للاطمئنان على راحة اللورد

كلافرتون

وآلا نجعله يرهق نفسه بالحديث

فهو فى مسيس الحاجة إلى الراحة !

هل كنت تتأهبين للانصراف؟

مسز كارجيل : إننى أعلم أن اللورد كلافرتون قد جاء من أجل الراحة

والاستجمام ، وخطر لى أنه قد يضيق بوجود كلتينا معه

فى نفس الوقت .

هذا إلى جانب أننى أريد أن أؤدى تدريب التنفس .

(تخرج)

مسزبيجوت : الواقع أننى جئت على عجل لإنقاذك ، بمجرد أن رأيت

مسز كارجيل قد استحوذت عليك ، ولهذا أحضرت

بنفسنى شراب الصباح .

بدلاً من ترك الأمور كالمعتاد للمرضة .

أُنك لا تعرف شيئاً عن مسز كارجيل ،
لكنك ربما تذكر امرأة تدعى ميزى مونت جوى ، كانت
تظهر فى استعراض غنائى ،
كانت معروفة قبل سنوات ، لكن الجيل الجديد لا يعرف
عنها شيئاً ،

ولكن أمثالنا يا لورد كلافرتون لابد أنهم يذكرونها .
كانت تغنى أغنية : «لم يمض بعد أوان حبك لى» ، وكانت
هذه الاغنية شائعة على ألسنة الناس فى ذلك العصر .
لا أنكر أنها امرأة جميلة ، لكنها ليست من مقامنا أنا
وأنت .

وقد أحسست أنها تريد لقاءك ، ولهذا فإننى قد تحينت
أول فرصة لأنبهها - فى شىء من الكياسة طبعاً - إلى
أنه لا ينبغى لأحد أن يزعجك ،
ولحسن الحظ أنها انصرفت . ولكن إذا حدث أن عادت
إلى مضايقتك

فما عليك إلا أن تخبرنى .. تلك .. للأسف - هى
الضريبة التى يدفعها ذوو الشهرة .

(تلخل مونيكا)

أهلا بك يا آنسة كلافرتون فىرى

لم أتنبه إلى مجيئك ؛ يجب على أن أنطلق

(تخرج)

سونيكا : شاهدت مسز بيجوت وهي تعكر صفو هدوءك
فأسرعت إلى الحضور لإنقاذك . يبدو أنك متعب يا
والدي كان الأخرى بها أن تتركك وشأنك بيد أنتى أحمل
إليك خبرا ..

قد يزعجك قليلا ،

الورد : حقا ؟! ماذا حدث ؟

سونيكا : لم أكد أخطو بضع خطوات حتى التقيت بمايكل ، وهو
يصر على لقائك .

يبدو أن أمرا غير سار قد دفعه إلى الحضور .

الورد : هل كان يقود سيارته عندما التقيت به ؟

سونيكا : كلا ! كان يسير على قدميه .

الورد : أرجو ألا يكون قد ارتكب حادثا آخر ، إذا إننى

بعد الحادث الأخير الذى نجا منه بأعجوبة

أعيش فى حالة رعب شديد خوفا من أن يدوس شخصا
آخر .

سونيكا : وما الداعى لأن تخشى أمرا كهذا ؟

هذا دليل على أن أعصابك مرهقة .

أنت تعلم أنه لم يصطدم إلا بشجرة .

الـورد : نعم ، شجرة ، لكنه كان من الممكن أن يصطدم بإنسان .
على كل حال ، لم يحدث هذا بعد ، وإلا ما كان يستطيع
السفر والحضور .

ربما يكون قد اختلف مع إحدى النساء ،
فإنى متأكد أنه على علاقة ببعض صديقات لا يود أن
نعرف نحن شيئاً عنهن .

مـونيكا : ربما يكون قد جاء ليطلب منك بعض المال
الـورد : إذا اقتصر الأمر على كونه مديناً فلن أبخل عليه
بالمساعدة ، لكن أين هو ؟
مـونيكا : طلبت منه أن ينتظر في الحديقة ريثما أمهد الطريق
للقائكما .

وقد أفهمته أن الأطباء يشيرون بأن تتجنب كل ما قد
يزعجك

إنه لن يحتد أو يثور ، ولكن يبدو عليه الخوف
والاضطراب . وأنت تعرف كيف يتصرف مايكل عندما
يكون مضطرباً

إذ يتجهم وجهه ، ويصبح سريع الاهتمام
لهذا أرجو أن تتحلى بالصبر .

الـلـورد : إذن دعيه يحضر ، ولنفرغ من أمره .

هـونـيـكا : (تنادى) مايكل !

(يدخل مايكل)

الـلـورد : صباح الخير يا مايكل .

مـايـكل : صباح الخير يا أبى . (يصمت برهة)

الطقس اليوم جميل !

ويسرنى أنك أتيت إلى هنا للاستمتاع بهذا الطقس .

الـلـورد : يسرك أنتى هناك ، هل جئت بالسيارة من لندن ؟

مـايـكل : نعم جئت الليلة الماضية ، وأقيم فى إحدى الحانات على

بعد ميلين من هنا . مكان مناسب إلى حد ما

الـلـورد : وما الداعى إلى هذا ؟ لم أكن أتوقع أن تكون الحانة

مكانا مناسباً لقضاء عطلتك .

مـايـكل : لكنى لم أجد لقضاء عطلة .

إلا أن هذا الفندق معروف بتقديم أطباق شهية ،

كما أنه ليس غالياً على الإطلاق .

الـلـورد : ليس من عادتك أن تهتم بالإقامة فى فنادق رخيصة .

هل ستقيم هنا طويلاً ، طوال عطلتك ؟

مـايـكل : إنها ليست عطلة على وجه الدقة .

ألم أقل ذلك ؟

هونيكا : أرجو أن تكفا عن التمسك بالرسميات .

يا مايكل : إنك جئت لكى تطلب شيئاً من والدنا .

وهو يعرف أيضا أنك تريد منه شيئاً .

ربما يكون من الأفضل أن أترككما لتتحدثا بصراحة .

(تخرج)

مايكل : الواقع أنه من الصعب أن يشرح أحد لك شيئاً

فأنت دائماً تصر على أننى الموم قبل أن تعرف الحقائق .

إن أول شيء أحفظ به فى ذاكرتى هو لومك لى على ما

لم أرتكبه ، وهو شيء لم أستطع أن أتناساه . وإذا لم

يكن هنا إلا اللوم والتائب ،

فمن الطبيعى أن يرتكب الفرد أخطاء عن غير قصد .

الورد : لقد شرعت فى الوقوع فى المشاكل منذ صباح

عندما طردوك من المدرسة بسبب السرقة .

لكن ، لنعد إلى موضوعنا . ها أنت الآن فى ورطة ثانية

دعنا نتجنب مسألة توجيه اللوم - إذا سمحت -

حتى نوفر عليك ضرورة لوم شخص آخر .

فقط أخبرنى ما حدث .

مايكل : لقد طردت من وظيفتى

الورد : من الوظيفة التى هياها لك السير ألفريد والتر ؟

- مساىكل :** لقد تحملتها سنتين ، وكنت فى غاية الملل منها
- اللىورد :** إن كل عمل قد يبعث الملل تسعة أعشار الوقت ..
- مساىكل :** أريد عملا أكثر إمتاعا .
- اللىورد :** ماذا تعنى ؟
- مساىكل :** أريد أن أجد عملا يتيح مجالا أكبر للمضاربات التجارية
- اللىورد :** ولكنك قمت بشيء من المضاربات الخاصة .
- مساىكل :** قدم لى عديد من أصدقائى بعض المعلومات الممتازة
- ولكنها باءت بالفشل - تلك التى لم اتبعها .
- اللىورد :** وماذا حدث لتلك التى أتبعتها ؟
- مساىكل :** لم تنجح لسبب أو لآخر .
- والواقع أنى كنت أحتاج إلى رأسمال أكبر ، ولهذا فلو
- كنت قد اقترضت مبلغا أكبر ،
- ربما كنت أسعد حظا .
- اللىورد :** أقترضت ؟ ممن ؟
- ليس .. من الشركة ؟
- مساىكل :** ذهبت إلى أحد المرابين
- رجل زكاه لى أحد أصدقائى
- وعرض على شروطا مغرية بفضل اسمى العائلى ، وتلك
- كانت الفائدة الوحيدة التى جلبها على هذا الاسم .

الـلـورد : وما تلك الشروط المغرية التى حصلت عليها بسبب اسمك ؟

مايكل : ألا أرد من المبلغ شيئاً لمدة سنتين ؛
إذ إن الفائدة تضاف إلى رأس المال .

الـلـورد : ومتى حدث ذلك ؟

مايكل : منذ عامين تقريبا

ما أسرع مرور الزمن عندما يكون المرء مدينا !

الـلـورد : وهل عليك ديون أخرى ؟

مايكل : ديون عادية . مثل حساب الخياط

الـلـورد : هذا ما كنت أخشاه

تماما كما حدث أثناء دراستك فى أوكسفورد

مايكل : إن عليهم تبعة ما حدث ؛ إذ إنهم لا يرسلون قاتورة

الحساب ، مما يجعلنى أنساها . إن ما يوقعنى فى

الديون هو كونى ابنك ، ولهذا يصرون على إقراضى

لمجرد أننى أحمل اسمك .

الـلـورد : وهل تلك الديون هى سبب طردك من الوظيفة ؟

مايكل : أحد الأسباب . فقد سمع السير ألفريد بما حدث

وتظاهر بأنه قد صدم بما سمع .

وقال إنه لا يقبل أن يكون أحد موظفيه مقامرا ، وصفنى

بأننى مقامر ! وقال إنه سيحدثك فى الأمر .

الـورد : وهذا هو ما دعاك إلى الإسراع بالحضور لكى تشرح لى ما حدث ومن جهة نظرك أولا وهى بلا شك تختلف عن وجهة نظر السير ألفريد ، وماذا قال بخلاف هذا ؟

هايكل : اتخذ نفس الموقف ، كما كان يفعل ناظر المدرسة ، وبعده الاستاذ الذى أشرف على دراستى فى أوكسفورد ، إذ قال : هذا ما لم نكن نتوقع حدوثه من ابن أبيك . وكلاما آخر من هذا القبيل . ثم ذكر أنه ، إكراما لك أنت ، سيتكتم الأمر .

أؤكد لك أنه ليس من السهل أن يكون الفرد ابنا لرجل سياسى شهير .

إنك لا تدرك مدى ما قاسيت وأنا أشغل تلك الوظيفة ، فأولا : كل زملائى كانوا يعرفون أن الوظيفة خلقت لأجلى ، وهذا لأننى ابنك ،

وكانوا يعرفون أن راتبى لم يكن كافيا لى وطالما تهكموا على .

فى حين أننى لم أكن أعمل شيئا . وحتى صغار السعاة بالمكتب يسخرون منى .

لا أدري كيف استطعت أن أتحمل ذلك طول هذا الوقت !

الـورد : وهل هذا هو كل ما فى قائمة نقاط ضعفك ؟

أم أن السير ألفريد وجه لك انتقادات قاسية أخرى ؟

مايكل : كانت هناك نقطة أخرى أثارها ضدى ؛

إذ اتهمنى بأننى شديد التقرب إلى إحدى الفتيات ، وأن

الأمر قد تطور إلى أبعد مما حدث فى الواقع .

الـورد : ربما يكون قد تطور فعلا إلى أبعد مما تود الاعتراف به

مايكل : على كل حال ، كانت هى الوحيدة التى عاملتنى بلطف

ومودة

لم تكن فتاة مثيرة لكنها ساعدت على تزجية الوقت ، وما

كان هذا ليحدث ، لو أن العمل نفسه كان شيقا محببا

للنفس .

الـورد : وما الذى تعتزم الآن أن تفعل ؟

مايكل : أريد السفر إلى الخارج

الـورد : السفر إلى الخارج ؟ هذه فكرة طيبة

فلو أنك قضيت بضع سنوات فى الخارج ، فى إحدى

المستعمرات مثلا .

ربما استطعت أن تكون أكثر اعتمادا على نفسك ، إنى

على صلة بأناس كثيرين ، أو على الأقل أراسل كثيرين

فى معظم البلاد .

ففى الأسترااليا - لكن كل من أعرفهم هناك يعيشون فى المدن .

وقد تكون المعيشة فى الهواء الطلق مناسبة لك .

ما قولك فى الذهاب إلى غرب كندا ؟

أو العمل فى تربية الأغنام فى نيوزيلندا ؟

مايكل : تربية الاغنام ؟ يا للهول ! كلا !

ليس هذا ما أفكر فيه . إنى أريد أن أكون ثروة .

أريد أن أسعى لتكوين شخصيتى بمجهودى الخاص .

الـورد : ماذا تريد أن تفعل إذن ؟ أين تريد أن تذهب ؟

ما أسلوب الحياة الذى تظن أنه يناسبك ؟

مايكل : أريد أن أعيش حياتى وفق هواى .

طبقا لما أعتقد أنه صالح أو طالح

مصيب أو مخطيء ، أريد أن أرحل بعيدا

إلى بلد لم يسمع فيه أحد عن اسم كلافرتون .

وإن حدث أن اتخذت لنفسى اسما آخر - وقد أفضل

ذلك فلا أريد أن يهتم أحد باسمى السابق .

الـورد : إذن فأنت على استعداد لإنكار أسرتك .

وللتنازل عن كل إرثك ؟

مايكل : وماذا عساي أن أرث ؟ أما عن لقبك

فأنا أعرف لماذا اتخذته ، وكانت أمي أيضا تعرف
أولا ، لأنه أتاح لك فرصة اعتزال السياسة مع الاحتفاظ
بكرامتك ، عندما لم يعودوا في حاجة إليك .
كما أنك أردت أن تصبح اللورد كلافتون ،
وأن تحتفظ بمركز عالٍ أمام أسرة أمي ،
بل أن تتغطرس عليهم
ولا جدال في أن فكرة إعطاء الاسم واللقب إلى الابن
كانت فكرة ممتعة
لكنك لا تفعل هذا كخدمة شخصية لي . فما أنا إلا ابن
لك ، أي مجرد امتداد لوجودك أنت ،
كمندوب لك يمارس العمل في غيابك
وما الذي يجعلني مدينا لك بالشكر من أجل شيء
فرضته علي فرضا ؟
وترى ، أي شعور بالرضى ذلك الذي ستحس به وأنت
في القبر ؟
وأراهنك أنك إذا كنت لا تزال تشعر بأي إحساس بعد
موتك فهو مجرد الشعور بالدهشة . مسكين ذلك الشبح
الذي سيشغل نفسه بحساب الأرباح والخسائر ،
ويعجب لاهتمامه بمثل تلك الترهات .

الـورد : إذن فأنت تريدنى أن أساعدك على التخلص من أبيك ؟

مايكل : وأساعد أبى على التخلص منى .

إنك لا تدري كم ستسعد بحياتك بمجرد أن أهجر البلاد

إنى أسعى إلى فرصة للسفر والعمل فى الخارج

كشريك فى نشاط تجارى شيق

إلا أنه يلزمنى مبلغ بمثابة رأس مال .

الـورد : وما نوع هذا العمل الذى تفكر فيه ؟

مايكل : لست أدري . ربما عمليات الاستيراد والتصدير

التي تدر الربح فى كلتا الحالتين

الـورد : هذا ما سأفعل من أجلك يا مايكل

سأعينك على بدء أى مشروع تجارى تختاره لنفسك ،

وذلك إذا وجدت - بعد بحث وتدقيق - أنه عمل مناسب

ومقبول .

مايكل : على أية حال ، لقد اعتزمت مغادرة إنجلترا

الـورد : مايكل ! هل هناك أسباب أخرى لهذا عدا ما ذكرت لى ؟

أرجو ألا يكون فى الأمر جريمة قتل عن غير قصد ؟

مايكل : قتل ؟ جريمة قتل عن غير قصد ؟

هل تعنى أنتى دُست أحدا فى الطريق ؟

كلا ! إننى الآن سائق فى غاية المهارة .

الـورد : ماذا فى الأمر إذن ؟ هل هو بسبب تلك الفتاة ؟

مايكل : لست أحمق إلى درجة أن أدخل فى نزاع مع فتاة نتيجة إخلال بوعد ، أو مشكلة طلاق . كلا ! لا تقلق نفسك بشأن تلك الفتاة أو غيرها .

إنى أود الخروج من إنجلترا ، فقد سئمت الحياة فيها .

الـورد : إنك بالتأكيد لا تعنى هذا ، لكنه أمر طبيعى أن يقضى المرء بضع سنوات فى الخارج .

وقد يفيدك هذا فى الاعتماد على نفسك ، لكن أرجو أن يكون الدافع لذلك هو الطموح الشخصى لا مجرد الرغبة فى الهرب والفرار .

مايكل : لست هاربا ولا فارا .

الـورد : لا أقصد الهروب من العدالة ،

بل الهروب من الحقيقة .

لو أنك يا مايكل كنت تسعى نحو مجد مؤثـل وتريد تحقيق حلم كبير ، لساعدتك بكل سرور حتى ولو أدى ذلك إلى معيشتك بعيدا عني إلى الأبد ، تقاسى حرارة الشمس الملتهبـة فى المناطق الحارة ، أو ترتعش من البرد فى الليالى القطبية .

صدقنى يا مايكل ، إن من يهربون من ماضيهم

يخسرون السباق دائما ،

إنى أعرف هذا من خبرتى . فعندما تصل إلى ما تبتغى ،
إلى جنة وهمية من النجاح والمجد ،

ستجد أن تجاربك الفاشلة الماضية قابضة فى انتظارك !
ليس لى أحد أعيش من أجله سواك يا مايكل ،
أنت ومونيكا . ولو قدر لى أن أعيش عشرين عاما ..
وأنا أعرف أن ابنى قد لعب دور الجبان .

فلن تكون إلا عشرين عاما من الموت والفناء .

مايكل : إن كان يحلو لك أن تسمينى جباناً ، فليكن .

ترى ، لو كنت فى مكانى ، هل كنت تلعب دور البطل ؟
لا أظن ذلك .

إنك لم ترزح تحت عبء العائق الذى قاسيته أنا .

نعم كان أبوك غنيا ، لكنه لم يكن مرموقا فى المجتمع ،
ولهذا لم تكن مضطرا إلى التزام سلوك معين .

أما عن معايير السلوك التى طالما أشرت بها من أجل
مصلحتى

ترى هل راعيت أنت الالتزام بها دائما فى حياتك ؟

(تدخل مونيكا دون أن يراها أحد)

مونيكا : يا مايكل ! كيف تتحدث إلى والدك بهذا الأسلوب ؟

ماذا حدث يا أبى ؟ لماذا يبدو عليك الغضب ؟ .

لا بد أن مايكل فى ورطة شديدة

أفلا تستطيع مساعدته ؟

الـورد : إنى أحاول مساعدته . والتوصل إلى حل وسط يرضى
كلينا ،

وقدمت له عرضا ينبغى عليه أن يفكر فيه مليا .

لكنه إذا فضل الذهاب إلى الخارج ، فإنى أريد أن يلزم
أسلوبا يختلف كل الاختلاف عن ذلك الأسلوب الذي
يلتزمه الآن .

هـونيكـا : مايكل ! قل شيئا !

مـايكل : وماذا عسـاى أن أقول ؟

إنى أريد أن أغادر إنجلترا ، وأن أبنى نفسى بنفسى ،
لكن أبى لا يرى فى هذا إلا جبنا وهروبا

هـونيكـا : أبى ، أنت تعلم أننى لن أتردد فى بذل حياتى من أجلك ،

وقد تبدو كلماتى هذه محض هراء . لكن أين هى
الكلمات التى تعبر عن حب يشمل الأسرة كلها ، حب
يظلها دون أن تراه ،

حب يرى فى ضوئه كل شيء ، حب يتخذ منه كل حب
آخر وصفا وتعبيرا ؟

إنه الحب الصامت . وماذا عساي أن أقول لكما ؟
مهما كان سلوك مايكل ، يا أبتاه ،
ومهما كانت كلمات أبيينا ، يا مايكل
ينبغي أن يغفر كل منكما للآخر ، وأن يبادلـه المحبة .
مايكل : وهل كنت أتردد فى حب الوالد ، لو كان يريد الحب ؟
لكن لم يكن مطلقا فى حاجة إلى حبى ، يا مونيكا . أما
أنت فتعرفين مدى شغفى بك دائما ،
فطبيعتى فى الواقع ، تنزع نحو العطف والمودة ولكن ..
(تدخل مسز كارجيل وهى تحمل صندوق أوراق)

مسز كارجيل : ريتشارد ! لم أكن أظن أنك لا تزال هنا .
لقد عدت لكى أتمتع بقراءة رسائلـك فى هدوء
وما أجمل أن أجد هنا شملا عائليا
أعرف من أنت . أنت مونيكا طبعـا !
ولا بد أن هذا هو أخوك مايكل . أليس كذلك ؟

مايكل : نعم هذا صحيح ، لكن ...

مسز كارجيل : تريد أن تسألنى كيف عرفت ذلك ؟
لأنك شديد الشبه بأبيك عندما كان فى سنك ،
إنه صورة طبق الأصل ياريتشارد ، كما كنت تبدو فيما
مضى

لا داعى لأن تتولى تقديمنا ، فسأقدم نفسى .

أنا (ميزى مونت جوى)

وهذا الاسم لا يعنى شيئاً لكما يا عزيزى

فقد مرت سنوات عديدة منذ كان اسم ميزى مونت جوى

يتصدر قائمة الاستعراضات المسرحية .

أما اسمى الآن فهو مسز جون كارجيل .

ريتشارد ! من المدهش أن مونىكا تكاد لا تشبهك فى

شيء ولكن يا مايكل ، لشد ما تغير والدك منذ كنت

أعرفه قبل سنوات .

إنك صورة مطابقة له فى تلك الأيام الخوالى

كان أبوك - ذات يوم - من أعز أصدقائى .

مايكل : وهل كان حقاً يشبهنى ؟

مسز كارجيل : إن صوتك هو صوته ، وحركاتك حركاته ، يا للعجب

والملامح الجذابة ! لقد ورث كل جانبيتك يا ريتشارد وهو

أمر لا يمكن إنكاره . لكن ،

من ذلك الشخص القادم نحونا ؟

إنه ضيف آخر من ضيوف الدار . ها هو يلوح بيده لنا .

أتعرفه يا ريتشارد ؟

الورد : إنه أحد معارفى القدماء

مسز كارجيل : يا للفرابة ! إن قوامه رشيق ، وملامحه غريبة .

هل هو أجنبي ؟

الـلـورد : إنه ينتمى إلى أمريكا الوسطى

مسز كارجيل : يا له من رومانتيكى ! إنى أود التعرف عليه . ها هو

يقبل نحونا للحديث . لا بد أن تقدمه لى

(يدخل غوميز)

غوميز : صباح الخير يا دك !

الـلـورد : صباح الخير يا فريد .

غوميز : لم تكن تتوقع أن ترانى هنا !

أعرف أنك أتيت للاستشفاء هنا ، فأقنعت طبيبى

بحاجتى للاستشفاء أيضا .

وعندما سمعت أنك اخترت المجيء إلى دار (بادجلى

كورت) .

قلت لطبيبى ، «ولمَ لا أذهب أنا أيضا إليها؟»

فوافق على ذلك .

مسز كارجيل : إذن فقد تقابلتما حديثا ؟

ريتشارد ، هلا تكرمت بتقديمنا ؟

الـلـورد : هذا هو

غوميز : صديقك القديم فردريكو غوميز ،

المواطن المعروف فى سان ماركو

هذا هو اسمى .

اللورد : دعنى إذن أقدمك بهذا الاسم إلى السيدة .. مسز

مسز كارجيل : مسز جون كارجيل

غوميز : لم تعد ذاكرتنا تعى أسماء الكنية يا دك !

مسز كارجيل : الذى حدث يا سنيور غوميز ، أننا عندما تقابلنا لأول

مرة .. اللورد كلافتون وأنا ..

كنت مشهورة باسمى المسرحى .

فمنذ سنوات كان كل شخص فى لندن

يعرف اسم (میزی مونت جوى) نجمة الاستعراضات

غوميز : إذا كانت (میزی مونت جوى) على هذه الدرجة من

الجمال الذى تتمتع به مسز كارجيل ،

فلا شك أنها كانت نجمة مسرحية ناجحة .

مسز كارجيل : ألم تشاهدنى مطلقا يا سنيور غوميز ؟

هذا شىء يدعو للأسف .

غوميز : لقد فقدت صلتى بالحياة فى إنجلترا

ولو كنت لا أزال أقيم بلندن ، مثل دك

لأصبحت أشد المعجبين المتيمين

مسز كارجيل : «لم يمض بعد أوان حبك لى»

هذه هى الأغنية التى جلبت شهرتى يا سنيور غوميز

غوميز : لن يمضى الأوان مطلقا ! أليس كذلك يا دك ؟

وهذه الأنسة ، أعتقد أنها ابنتك ؟

وهل هذا هو ابنك ؟

اللورد : ابنى مايكل ، وابنتى مونىكا

مونىكا : أهلا بك . هذا هو مايكل

مايكل : أهلا بك

مسز كارجيل : لا أظن أنك تعرف اللورد كلافرتون منذ فترة طويلة

يا سنيور غوميز ؟

غوميز : يا سيدتى العزيزة أنت لم تبلغى بعد من السن ما يسمح

لك بمعرفة (دك فىرى) مدة طويلة مثلى ،

إذ ترجع صداقتنا إلى أيام الدراسة فى أوكسفورد

مسز كارجيل : إذن فأنت أيضا درست فى أوكسفورد ؟

لعل هذا هو سر إتقانك الحديث بالإنجليزية .

إن ملامح وجهك تدل على أنك إسباني

غوميز : إنى أميل إلى الإسبانيين ، وإلى طباعهم الأرستقراطية

ولكن يدهشنى أننا لم نلتق قبل الآن !

مسز كارجيل : تقول إنك كنت صديقا لريتشارد فى أوكسفورد .

وقد ربطتتى صداقة قوية بريتشارد بعد ذلك بقليل .

أليس كذلك يا ريتشارد ؟

غوميز : ربما كان ذلك بعد مغادرتي لإنجلترا

هسزكارجيل : هذا هو السبب إذن .

وبعد أوكسفورد ، أظن أنك عدت إلى موطنك الأصلي ؟

غوميز : جمهورية سان ماركو .

هسزكارجيل : عدت إلى سان ماركو .

يا سنيور غوميز : إن كنت حقا ستقيم أياما في دار

(بادجلى كورت) فإننى أحذرك : سأقوم باستجوابك ،

وسوف تحكى لى كل ما تعرف عن ريتشارد أثناء

دراسته فى أوكسفورد .

غوميز : بشرط واحد : هو أن تحكى لى كل ما تعرفين عن (دك)

منذ أن التقيت به .

هسزكارجيل : (ترت بيدها على صندوق الرسائل)

سأبادلك سرا بسر يا سنيور غوميز

ولتكشف أنت أوراقك أولا .

هونيك : والدى ! أعتقد أنه قد إن لك تأخذ قسطا من الراحة

ينبغى على أن أوضح لكم أن الأطباء يصرون بشدة على

ضرورة أن ينال والدى قسطا من الراحة والهدوء قبل كل

وجبة من وجبات اليوم .

- الـلـورد :** ولكن يجب أن أنهي حديثي مع مايكل ،
وليكن ذلك بعد الظهر يا مايكل .
- هـونـيـكا :** كلا ! لقد تحدثتـما بما فيه الكفاية اليوم .
يا مايكل : حيث إنك تقيم في فندق قريب
هل تستطيع العودة في الصباح بعد الإفطار ؟
- الـلـورد :** نعم ، تعال غذا صباحا .
مـايـكـل : حسنا ! غذا صباحا .
- مـسـز كـارـجـيل :** هل تقيم بمكان قريب يا مايكل ؟
يبدو لي أمرا طبيعيا أن أخاطبك باسمك الأول ؛ حيث
إن أباك من أعز أصدقائي أليك مانع ؟
- مـايـكـل :** كلا ! لا مانع لدي .
أقيم في فندق جورج ، وهو لا يبعد كثيرا عن هنا .
- مـسـز كـارـجـيل :** إذن فلأمش قليلا معك .
مـايـكـل : إن هذا من دواعي سروري
- غـوـمـيـز :** هل أنت الآن في عطلة ؟ وهل تعمل في لندن ؟
مـايـكـل : لا ، لست في عطلة ، ولكني كنت أعمل في لندن ،
وأفكر في مغادرتها إلى الخارج .
- مـسـز كـارـجـيل :** لابد أن تخبرني بكل شيء ،
فقد أقدم لك بعض المشورة .

سنترك الآن يا ريتشارد . إلى اللقاء يا مونيكا

ويا سنيور غوميز . سأطالبك بتنفيذ وعدك

(يخرج مايكل ومسز كارجيل)

غوميز : ينبغي لنا يا (دك) أن نطيع أوامر الأطباء .

ولكن فلننتهز فرصة تواجدنا هنا

لنتبادل الأحاديث عن أيامنا الخوالي ، إلى اللقاء .

(يخرج غوميز)

مونيكا : أبى ! ما أفزع هذين الشخصين ! يجب ألا تبقى هنا .

أريدك أن تهرب منهما

الورد : إن ما أريد أهرب منه هو نفسي ، هو ماضى .

ولكن ، كم أنا جبان ؛ إذ أتحدث عن الهروب ، وكم أنا

منافق !

منذ دقائق كنت أستعطف مايكل ألا يحاول الهروب من

سقطاته الماضية .

ونصحته بأننى أتحدث من واقع خبرتى !

ترى هل أنا أعى معنى الدرس الذى أريد أن ألقنه إياه ؟

تعالى يا مونيكا ! لقد قررت أن أبدأ من جديد ،

سنذهب ، أنا ومايكل ، إلى المدرسة سويا .

وسنجلس جنباً إلى جنب ، كل منا أمام قمطر صغير .

نقاسى نفس الهوان ، على يد المعلم نفسه .
ولكن ، ترى ، هل أمامى متسع من الوقت ؟
إن الفرصة ، بالنسبة له ، لاتزال سائحة .
ولكن ، هل فات الأوان بالنسبة لى يا مونيكا ؟

الفصل الثالث

المكان : كما فى الفصل الثانى .

الزمان : ساعة متأخرة من بعد ظهر اليوم التالى .

مونىكا تجلس بمفردها ، يدخل تشارلز

تشارلز : ها أنذا يا مونىكا .

أرجو أن تكونى قد استلمت رسالتى .

مونىكا : تشارلز ، تشارلز ، تشارلز ! كم أنا سعيدة بحضورك !

لقد ساورنى القلق ، وتملكنى الخوف .

وقد ضايقتنى أنهم لم يجدونى عندما حاولت الاتصال بى

هاتفياً هذا الصباح ،

وأن تتمتع (مسز بيجوت) بالاستماع إلى صوت حبيبى ،

وأن أحرم أنا من ذلك فى وقت كنت أتوق فيه إلى سماع

صوتك وما فيه من رقة وحنان .

كم كنت أرغب فى لقائك يا تشارلز .

وأنا الآن فى حاجة ملحة إليك .

تشارلز : عزيزتى : إن ما أريده هو أن أعلم أنك فى حاجة إلىّ ،

ففى يوم لقائنا الأخير فى لندن ، اعترفت بحبك لى ،
لكننى كنت أتساءل - ولعلك تغفرين لى تساؤلى -

عما تضمنته كلماتك من معنى ،

إذ لم يبد أنك كنت فى حاجة إلى أنىذ ،

كما قلت إننا لم نعقد خطبتنا بعد ..

سونيكا : لقد عقدناها الآن . فأنا - من ناحيتى على الأقل -

قد ارتبطت بك ، ارتبطت بك إلى الأبد .

تشارلز : يبدو أن هناك جولة تسوقية أخرى أمامنا !

ولكن يا عزيزتى ، منذ أن استلمت رسالتك هذ الصباح

بشأن والدك وأخيك مايكل

وأولئك الذين احتكوا به فى الماضى ،

وأنا لا أكف عن التفكير فى ما يمكننى أن أفعله

لمساعدته .

فإذا كان هدفهم الابتزاز - وهو الأمر الذى أرجحه .

هل تظنين أننى أستطيع إقناعه بأن يجعلنى موضع ثقته ؟

سونيكا : كيف يعقل يا تشارلز أن يقوم أى شخص بتهديد والدى ؟

والدى الذى هو أشد الناس تدقيقا وتمحيصا ، وأكثرهم

حرصا وتزمنا . هذا محال .

كيف يعقل أن ينطوى ماضيه على سر خفى يثير

الشبهات ! هذا ما لا يمكننى أن أتصوره !

(يدخل اللورد دون أن يلحظ أى منهما دخوله) .

مونيكا : لم أكن أتوقع دخولك من هذا الاتجاه يا والدى ،

وكنت أعتقد أنك لا تزال فى حجرتك . أين كنت ؟

اللورد : لم أذهب بعيداً . كنت واقفا تحت شجرة الزان الضخمة

مونيكا : وما الذى جعلك تقف تحت شجرة الزان ؟

اللورد : أشعر بشيء يجذبنى نحو تلك البقعة .

غير أننى سمعت ما قلته عن الأسرار الخفية المشبوهة

هناك أمور كثيرة لا تعتبر جرائم يا مونيكا ،

تتجاوز كل ما يعترف به القانون : مثل سقطات عابرة

وأخطاء عن غير قصد ،

وتنازلات طائشة ، ونزوات يصعب تفسيرها ، ولحظات لا

تكاد تمر حتى نأسف لما وقع فيها ،

وأحداث نحاول إخفاءها عن الأنظار .

ألم يقع فى حياتك يا تشارلز هيمنجتون أشياء تود أن

تتناساها وأن تبقىها طى الكتمان ؟

تشارلز : هناك بطبيعة الحال أشياء يسرنى أن أتتناساها ، أو

بالأحرى أتمنى لو أنها لم تكن قد حدثت على الإطلاق .

وقد تكون هناك أشياء لا تعرفينها عنى بعد يا مونيكا،

ولكن ليس هناك شيء أرغب في إخفائه عنك .

اللوورد : إذا لم يكن لديك ما تتخرج من ذكره لمونيكا إذن يحق لك أن تهناً .

كلاكما يهيم بالآخر حبا ولا داعي لكما أن تخبراني عما لمسته بنفسى

وإذا لم يكن لديك ما تخفيه عنها مهما شعرت بضرورة إخفائه عن العالم – فإن روحك تنعم بالسلام .

وإذا كان لدى المرء شخص واحد – واحد لا سواه فى الحياة ، يبوح له بكل أسرارهِ –

بما تتضمنه من أفعال إجرامية ، وخسّة ، ودناءة وجبن ، ومواقف تصرف فيها بحمق –

ومن منا لم يفعل ذلك فى مناسبة أو أخرى ؟

فهو إذن يحب ذلك الشخص حبا حقيقيا ، وسيجد فى حبه خلاصا لنفسه .

يؤسفنى أنى فى الواقع لم أشعر نحو أحد بمثل هذا الحب .

كلا – إنى أحب ابنتى مونيكا بطبيعة الحال ، ولكن هناك عقبة –

إذ يستحيل على المرء أن يصارح ابنه أو ابنته بكل شيء

إن لم يكن قد أتيح له أن يكون أميناً مع شخص أكبر سناً ، يعامله معاملة النذ للنذ .

لا يستطيع الأب أن يظهر نفسه على حقيقتها لابنته وهي طفلة .

وعندما تكون قد شبت عن الطوق يكون المرء قد نسج حول نفسه نسيجاً من الأوهام .

لقد قضيت حياتي محاولاً أن أتناسى نفسي ، أسعى للتوفيق بين نفسي وبين الدور الذي اخترت أن أؤديه ،

وكما تمادى الإنسان فى الادعاء والتمويه ، صعب عليه أن يكف عن الادعاء ، وأن يغادر خشبة المسرح ، ويرتدى ملابسه العادية ، ويتحدث دون تصنع وتكلف .

وهكذا أصبحت معبوداً فى نظر مونيكا ، كانت تعبد الدور الذى أؤديه .

وكيف يتسنى لى أن أعرف أنها لن تنكر الممثل لو رآته خارج المسرح ،

دون ملابس التمثيل وبغير مساحيق ، ولا يردد كلمات المسرحية .

مونيكا ! لم أكن حقاً جديراً بحبك واحترامك ،

لكننى أرجو أن يكون فى قلبك موضع بسيط لحب والدك
عندما تعرفينه على حقيقته ،
عندما يتحطم صنم الممثل .

مونیکا : لست أعتقد إلا أن حبنى لك سيزداد يا أبتاه
كلما ازدادت معرفتى بك ، إذ سيزداد فهمى لك ، ليس
هناك ما أخشى معرفته عن تشارلز .
وليس هناك ما أخشى معرفته عنك .

تشارلز : لقد تبادر إلى ذهنى يا سيدى ، وأرجو أن تغفر لى ذلك -
أن من بين ما ذكرته لى مونیکا عن زائريك اللذين - على
حد قولها - يدعيان سابق معرفتهما بك -
تبادر إلى ذهنى أنه إن كان فى الأمر تهديد وابتزاز ،
فإن لى خبرة بهذه الأمور من عملى بالمحاماة
ويمكننى أن أتقدم بالمساعدة .

مونیکا : أرجو أن تسمح له بذلك يا والدى .
تشارلز : يمكننى ، على الأقل ، أن أدلك على أفضل من يقدم لك
المشورة .

اللورد : ابتزاز ؟ لقد سمعت تلك الكلمة من قبل ،
عندما سألتها عما يريده ، أجاب قائلاً :
لست أريد شيئاً سوى صداقتك ورفقتك

إنه رجل فى غاية الثراء ، كما أنها هى امرأة غنية فإذا
كان التهديد من أجل الحصول على الرفقة والصدقة ،
بل إن لديه أبناء يقتفون خطى أبيهم ، وقد حالفهم
التوفيق هم أيضا

ترى ، ماذا كان سيصبح لو أنه لم يلتق بى ؟
ليس أكثر من معلم بمدرسة ثانوية مغمورة بمكان ما فى
وسط إنجلترا . أما عن ميزى باترسون ...

مونيكا : ميزى باترسون ؟ من هى ميزى باترسون ؟

اللورد : امرأة لم يعد لها وجود .

لا هى ولا كوكب الاستعراضات الموسيقية ميزى مونت
جوى .

إنها الآن تدعى مسز جون كارجيل ، الأرملة الثرية .
أما فريد كلفرويل ، وميزى باترسون وكذلك دك فيرى ،
وريتشارد فيرى ..

هؤلاء هم الأشباح التى تطاردنى ،

كانوا جميعا أناسا طيبين ، أشخاصا كان يمكن أن
يكونوا مختلفين أشد الاختلاف عن غوميز ، ومسز
كارجيل ، واللورد كلافتون ، عندما كنا فى أوكسفورد
كان فريد معجبا بى

فما الذى فعلت بإعجابه ؟

عودته على نوع من الحياة كان يكلفه فوق طاقتة ، ولهذا
لجأ إلى التزوير ، وحكم عليه بقضاء فترة فى السجن .
هل كنت أنا مسؤولاً عن ضعف شخصيته ؟
نعم !

ما أسرع ما نتجاهل أن أولئك الذين يعجبون بنا
سيحاكون رذائلنا كما يحاكون فضائلنا
أو غير ذلك من الصفات التى من أجلها أعجبوا بنا .
وهذا بالتالى قد ينمى نقاط الضعف التى جبلوا عليها .
أما (ميرى) فقد أحببتنى بكل ما لديها من طاقة على
الحب والهيام فى طيش وأنانية .
غير أنه ينبغى علينا أن نحترم شعور الحب عندما نلتقى
به حتى

ولو كان يشوبه الطيش والأنانية ، وألا نسيء استغلاله
تلك كانت نقطة ضعفى ، وكم تؤرقنى ذكراها .

تشارلز : ومع هذا فلا ينبغى لهذين الشخصين أن يضايقاك ،
ولن نسمح لهما بذلك .

ما الذى يمسه عليك من أسرار ؟

الورد : ليس أكثر من كونهما يعرفان عنى شيئاً مخجلاً مشيناً .

هونيكا : يجب إذن ، يا أبتاه ، أن تخبرنا عما يعرفانه عنك ،

لماذا تريد أن تخفى عن محبيك شيئاً

يعرفه تمام المعرفة أولئك الذين يكرهونك ؟

الورد : سأخبركما ، بكل إيجاز وبساطة :

أما فردريك كلفرويل فإنه يعود لكى يذكرنى بحدث معين

يعرف تماماً أن ذكراه لا تنفك عن ملاحظتى . ففى ذات

يوم كنا عائدین فى سيارتى إلى أوكسفورد ،

ومعنا فتاتان ، فى ساعة متأخرة من الليل ، فى طريق

صغير ، ومررت بالسيارة فوق رجل عجوز راقد فى

الطريق ، دون أن أتوقف .

ثم داسه سائق آخر ، سائق شاحنة ، لكنه توقف ،

وقبض عليه ، ثم أطلق سراحه فيما بعد ، وثبت بعد ذلك

بكل تأكيد ، أن ذلك العجوز كان قد مات ميتة طبيعية ،

ثم دهسته السيارتان بعد موته ، ولم يكن ما دسناه

سوى جثة هامة .

وهكذا لم يقتله أحد منا . غير أننى لم أوقف سيارتى ،

وبقيت ، طوال حياتى ، أسمع من وقت إلى آخر صوتاً

يهمس فى أذنى ، بين يقظتى ومنامى ، قائلاً : «إنك لم

تتوقف»

وكننت أعرف صاحب الصوت :إنه فريد كلفرويل .

هونيكا : مسكين يا أبتاه ! طوال حياتك !

دون أن يشاركك فى ذلك أحد !

لم أكن أعرف مدى ما كنت تشعر به من وحدة ، ولا
سبب تلك الوحدة .

تشارلز : ومسز كارجيل :

ما الذى لديها ضدك ؟

اللورد : كنت عاشقها الأول ، وكننت أرغب فى الزواج بها ، ولكن
والدى حال دون ذلك ،

أقنعتها بعدم جدوى زواجها منى - على حد تعبيره -
وأقنعتنى أنا أيضا بعدم جدوى زواجى منها .

والواقع أنه لم يكن أحدها يصلح للآخر على الإطلاق .
لكنها كانت ذات فتنة جسدية خاصة

تفوق فتنة أية امرأة أخرى ، وهى تدرك ذلك ،

وتدرك أن شبح ذلك الرجل الذى كننت فيما مضى ،
لا يزال يهفو لشبح المرأة التى كانت (مىزى)

وكنا سنؤول حتما إلى الفقر ، والتشاجر ،

والشقاء ، وربما انتهى مصيرنا إلى الطلاق ، لكنها لم
تنسنى ، ولم تغفر لى .

تشارلز : هذا الرجل ، وتلك المرأة الحقودان

لا ترى أن كليهما أخطأ بقدر ما أخطأت وأنهما يعرفان ذلك ؟ وهذا هو ما يدفعهما إلى الانتقام
فذلك هو سبيلهما إلى تبرير نفسيهما ، دعهما إذن
يرويان قصتهما التعسة
ويهمسان بها لمن يرغبان ، ولن يستطيعا إلحاق أى أذى
بك .

الورد : إن منطقك سليم ، لكنه لا يتصل بالموضوع . كلاهما
يذكر موقفا معينا ،

كان تصرفي فيه هو الفرار والهروب ، حدث هذا ذات
مرة ، لكنني لن أهرب هذه المرة .
لن أفر منهما . وسيكون لقائي معهما هذه المرة هو
طريقي للتخلص منهما

ها أنا قد اعترفت لك يا مونيكا

واعترافي هو الخطوة الأولى في سبيل تحرري ،
وقد تكون أهم خطوة على الإطلاق .

وأنا أعلم ما يدور بفكرك ، إنك تظنين أنني أعانى من
تأنيب الضمير

ومن إمعانى في التفكير في أخطاء كان يجدر بى أن

أتناساها وتظنين أنتى أعانى من المرض ، فى حين أنى
أشعر بالبرء والشفاء ! من الصعب أن نجعل الآخرين
يرون جسامة الأمور التى تبدو لهم تافهة .

إن الاعتراف بخطأ لا يراه أحد خطأ أصعب من
الاعتراف بجرم يجمع الكل على أنه جريمة نكراء ؛
فالجريمة جريمة أمام القانون ، أما الخطيئة فهى خطيئة
بالنسبة إلى المخطئ نفسه . والأمر الذى اتضحت
أهميته فى الدقائق الخمس الأخيرة

ليس بشاعة أفعالى ، ولكن إقدامى على الاعتراف ،
واعترافى لك أنت يا مونيكا ، أنت بالذات ، دون سواك .

تشارلز : إنى أسلم بكل ما تقول ، ولكن ماذا تعتزم أن تفعل ؟
حتى متى ستبقى هنا يا لورد كلافرتون ، وتتحمل هذا
العذاب ؟

الـلورد : حتى النهاية ،
أعتقد أن مكان التحرر وزمانه قد تحددنا ، فلا داعى
لإطالة الحديث فى هذا الشأن .

وإنى واثق من أنهما يتأمران ضدى .
ها هى مسز كارجيل مقبلة نحونا .،

مونيكا : فلتنصرف .

الـلـورد : بل سنبقى هنا

(تدخل مسز كارجيل)

كارجيل : كنت أفتش عنك فى كل مكان يا ريتشارد ،
لدى أخبار مثيرة تهمك ! ولكن يخيل إلىّ يا مونيكا ، بل
وأجزم مما يعلو وجهك من ملامح ، أن هذا هو خطيبك ،
أرجو أن تقدميه لى .

مونيكا : مستر تشارلز هيمنجتون . مسز كارجيل

تشارلز : أهلا بك !

كارجيل : يا له من اسم بديع !

تشارلز : يسعدنى أن اسمى قد لقى قبولا لديك يا مسز كارجيل .

كارجيل : ودعنى أهنئك يا مستر هيمنجتون ،

ما أسعد حظك بخطبة فتاة مثل مونيكا .

إن سعادتها أمر يهمنى بصفة خاصة

تخيل أنى لم ألتق بها إلا منذ يومين

ومع ذلك فإنى أشعر كما لو كنت بمثابة أم لها ، ويمكن

القول إنه كان من الممكن جدا أن أكون أمها ؛

إذ إنى أعرف أباهما منذ زمن بعيد جدا ،

بل كدت ، فى لحظة من اللحظات ، أن أتزوجه .

كان ذلك منذ زمن بعيد ، بعيد جدا .

وهكذا ترى يا مستر هيمنجتون أن الأمر بلغ حد أنني

أعتبرها ابنتي بالتبني ،

مما يجعلني أتردد في مخاطبتك باسم مستر هيمنجتون

وأفضل أن أناديك باسم تشارلز .

تشارلز : كما تشاءين يا مسز كارجيل .

الـلـورد : تقولين إن لديك أخبارا مثيرة تهمنا ،

هلا أخبرتنا عما وراءك ؟

كارجيل : إنها تتعلق بابنك مايكل .

الـلـورد : وما شأن مايكل ؟

كارجيل : لقد روى لي قصته بالكامل .

إنك قد أسأت فهمه إساءة بالغة يا ريتشارد

وما أشد ما قاسى ذلك المسكين !

لهذا شرعت في تفكير عميق .

أعرف أنك كنت دائما تنظر إلى كائني بلهاء خرقاء غير

أنني - من حين إلى آخر - أهتمدى إلى بعض الأفكار

الصائبة .

فبعد أن أعملت فكري ، اكتشفت ما يحتاج إليه مايكل

ليبدأ حياته بداية جديدة

إنه يتوق إلى السفر خارج البلاد حتى يشق بنفسه

طريقاً لحياته وهذا أمر طبيعي . وحدثت نفسى : لم لا

ألجأ إلى السنيور غوميز ؟

إنه رجل ثرى ، وذو نفوذ كبير فى بلده . وصديق لوالد

مايكل !

وقد وجدته على أتم استعداد للمساعدة .

الـلـورد : وما الاقتراح الذى تقدم به السنيور غوميز ؟

كارجيل : هذه هى المفاجأة التى جئت لأزفها إليكم .

إن مايكل فى غاية السعادة ،

فقد انحلت كل مشاكله بعد أن كان الحمل المسكين فى

غاية الاضطراب فلنبتهج كلنا ونفرح !

(يدخل غوميز ومايكل)

الـلـورد : أنت تعلم يا مايكل أننى كنت فى انتظارك هذا الصباح

لكنك لم تأت .

مايكل : بلى ، يا أبى ، وسأشرح السبب .

الـلـورد : وقد بلغنى أنك تناقشت حول مشاكلك مع مسز كارجيل ،

ثم مع السنيور غوميز .

مايكل : عندما حدثتك يا أبى عن رغبتى فى السفر إلى الخارج

لم توافقنى على وجهة نظرى .

ما فائدة محاولة البحث لى ، فى شتى أنحاء العالم ،

عن عمل شبيه بما وجدته لى هنا بلندن ،
مع رئيس آخر كالرئيس الحالى سير ألفريد ،
ينصب نفسه وصيا على سلوكى ، ويبعث لك التقارير
التي يكتبها عنى ،
وفى مكان آخر يهزأ فيه جميع الموظفين بذلك القادم من
لندن ، ذلك الإنجليزى
الذى يتقاضى أجرا عن وظيفة أنشئت خصيصا من
أجله .

كلا ! أريد أن أذهب إلى حيث أستطيع أن أشق طريقى
بنفسى ،

وحيث لا أكون مجرد ابنك ، وكفى . وهذا هو رأى
السنير غوميز . إنه يتفهم وجهة نظرى تماما ، فى حين
عجزت أنت عن ذلك .

وقد عرض على وظيفة هى بالضبط ما أبحث عنه .

الورد : نعم ، إننى أقدر مزايا وظيفة يخلقها السنير غوميز من
أجلك ..

هايكل : إنه لم يخلقها من أجلى ..

السنير غوميز جاء إلى لندن للبحث عن رجل يشغلها
وهو يعتقد أننى ذلك الرجل بالذات .

غوميز : " نعم ، وهو أمر فى غاية الغرابة .
الـلـورد : طبعا إنك الرجل الذى يبحث عنه السنيور غوميز بالذات
ولكن ليس بالمعنى الذى تفهمه ، ولا للأسباب التى
تتصورها .
دعنى أحدثك عن غوميز . لا يُعقل أن يلعب دور الوصى
على أخلاقك .
اسمه الحقيقى كلفرويل .
غوميز : يا عزيزى دك ، إنك تضيع وقتك عبثا وأنت تسترجع
التاريخ القديم .
إن مايكل يعرف كل شىء ، فقد ذكرته له بنفسى ،
لاعتقادى بأنه خير له أن يعرف الحقائق منى قبل أن
يسمع روايتك المشوهة .
ولكن يسيئنى تعريضك بقدرتى على الوصاية على أخلاق
مايكل ،
فأنا حقا جدير أن أكون ذلك الوصى ،
وهو أمر ملائم تماما إذا تذكرنا أنك كنت فيما مضى
وصيا على أخلاقى ،
ولو أنك بطبيعة الحال تماديت فى هذا الشأن أكثر منى
كثيرا .

اللورد : إنك تضيع وقتك سدى فى هذا الأمر يا فريد فابنتى وخطيبها يفهمان ما نشير إليه ، إذ أخبرتهما بما حدث ، لإيضاح ما بينك وبينى من تلك المودة التى وجداها أمرا غريبا .

كارجيل : وهل شرحت لهما أيضا يا ريتشارد ما كان بينك وبينى من مودة ؟

اللورد : نعم بالتأكيد

كارجيل : إنها قصة الغرام الكبرى فى حياتى !
كان والدك ، فى تلك الأيام ، ذا سحر لايقاوم ،
فقد ذبت أمام أول نظرة من نظراته
وسأقص عليك كل شىء يوما ما يا مونيكا .

مونيكا : يكفينى ما أعرفه فعلا عنك يا مسز كارجيل ، ولست فى حاجة إلى مزيد .

كارجيل : غير أننى كنت رائعة الجمال فى تلك الأيام
غوميز : لا شك فى هذا ، فأنت الآن على قدر كبير من الجمال ،
ويمكننا أن نتصور جمالك فى ذلك الوقت .

كم كان عمرك آنئذ ؟

كارجيل : ثمانية عشر عاما لاغير !

اللورد : مايكل ، السنيور غوميز يقول إنه أخبرك بقصته .

هل ذكر أنه قضى فترة فى السجن ؟

مايكل : لقد ذكر لى كل شىء . وبفضل المحنة التى قاساها

بسببك كان فى غاية الإشفاق والعطف على فى محنتى .

الـلـورد : كما أنها جعلته أيضا يخترع تلك الوظيفة التى من

أجلها يبحث عن يمكن أن يشغلها .

مايكل : هذا أمر لا يهتمنى . فقد عرض على الوظيفة ومرتبها

السخى ، وما يلحق بها من عمولة .

وقد نجح هو فى أن يكون لنفسه ثروة طائلة .

إنى أتوق إلى العمل فى سان ماركو !

الـلـورد : وماذا ستكون مهام تلك الوظيفة ؟ هل تعرف ؟

مايكل : لم نبحث تفاصيل العمل ، وسيأتى أوان ذلك فيما بعد .

غوميز : من الأفضل أن ننتظر إلى أن نصل إلى سان ماركو ،

وسيسهل شرح طبيعة العمل هناك فى سان ماركو

نفسها وليس فى إنجلترا .

الـلـورد : وهل تنوى أن تغير اسمك إلى غوميز ؟

غوميز : لا يا دك توجد أسماء مناسبة كثيرة .

مونيك : مايكل ! مايكل ! لا ينبغي أن تتخلى عن أسرتك ، وعن

نفسك ذاتها هذا نوع من الانتحار .

تشارلز : مايكل . إنك تظن أن ما يدفع السنيور غوميز هو حب

الخير .

هايكل : قلت لكم إنه جاء إلى لندن للبحث عن رجل يشغل وظيفة هامة في شركته .

تشارلز : وظيفة لم يذكر شيئاً عن طبيعتها .

هايكل : هذا أمر خصوصى بينه وبينى .

تشارلز : إنه ، على ما يبدو ، أمر فى غاية الخصوصية .

غوميز : حذار يا حضرة المحامى .

لا بد أن أمثالك يعرفون شيئاً عن قانون القذف الشفوى
وها هى مسز كارجيل ، شاهد يعتمد عليه .

تشارلز : إنى أعرف عن قانون القذف ما يكفى ليدلنا على أنك
آخر من يمكن أن يلجأ إليه . وهناك نقطة أخرى يا
مايكل .

لقد عرض السنيور غوميز عليك وظيفة فى سان ماركو
وسيدفع لك السنيور غوميز نفقات السفر .

هايكل : وكذلك سيدفع مبلغاً مقدماً كجزء من راتبى .

تشارلز : سيدفع السنيور غوميز نفقات السفر .

غوميز : كما دفع أبوه نفقات سفرى قبل عدة سنوات .

تشارلز : ولا شك أن هذا العرفان بالجميل يبعث فى نفسك شيئاً
من السرور ؟

غوميز : نعم إنه لأمر محبب إلى النفس أن يرد الإنسان دينا قديما . وخير البر عاجلة كما يقولون .

تشارلز : إنى أدرك وجهة نظرك تماما .

أتشعر حقا يا مايكل بأى ثقة فى رجل يسعى لأن يتشفى عن طريقك من والدك ؟

تذكر أنك تسلم قيادة نفسك إلى رجل لاتعرفه وتجهل كل شىء عن طبيعة أعماله .

وليس هناك ما نعرفه عنه يقينا سوى أنه قضى فترة فى السجن بسبب جريمة تزوير .

غوميز : ما قولك فى كل هذا يا مايكل ؟

مايكل : أظن أن هيمنجتون رجل صفيق جدا . لقد تناقشت مع السنيور غوميز فى كل هذه الأمور يا هيمنجتون ..

غوميز : بحثنا كل شىء بصراحة كرجلين واسعى الخبرة بالحياة وأطمئنتك إلى أن مايكل ذو بصيرة نافذة ، وعقل حكيم ، وأنه عندما يعود إلى إنجلترا سيكون أغنى منك مرات عديدة .

كارجيل : ينبغى على أن أشارك هنا فى الحديث يا ريتشارد .. كان المرحوم زوجى ، المستر كارجيل ، من رجال الأعمال - ويا ليتك كنت قد قابلته يا سنيور غوميز ،

فالحق أنكما شبيهان إلى درجة كبيرة -

ولهذا فإننى على دراية بميدان الأعمال ، وقد شهد لى
مستر كارجيل بذلك . إن مايكل ذو مواهب فائقة فى
شؤون الأعمال .

لقد خبرت ذلك بنفسى ، كما خبره السنيور غوميز ، إلا
أن المسكين كان يعانى من الإحباط

وظل طوال هذه السنوات يتحين الفرص لاستخدام
مواهبه وها هى الفرصة قد سنحت أخيرا ، وأقبلت تدق
على الباب ،

ولا يجوز لك يا ريتشارد أن تقف فى طريقة ، فهذا أمر
مشين .

الورد : لا يمكننى ، كما تعرفين ، أن أقف فى طريقه مطلقا .

فمايكل حر يفعل ما يشاء .

ولهذا ، فإنه إن اختار أن يسلم لك القيادة يا فريد كلفرويل ،
وأن يسعى بمحض إرادته نحو عبوديته ، فلا أستطيع
أن أمنعه . غير أن لى ما أقوله لك يا مايكل قبل أن
تذهب . إننى لن أتبرأ منك مطلقا كما تبرأت منى .

وأرى الآن بوضوح كل الأخطاء التى ارتكبتها طوال
حياتى خطأ بعد خطأ ،

ومحاولاتي الخاطئة لتصحيح تلك الأخطاء بوسائل كانت
هى أيضا على غير صواب .

وأرى أننا - أنا ووالدتك - بعد أن فشلنا فى أن يفهم
أحدنا الآخر -

قد أسأنا فهمك كل منا بطريقة الخاصة .

وعندما أفكر فى طفولتك . عندما أفكر فى ذلك الصبى
الصغير السعيد الذى كان يدعى مايكل ،

وعندما أفكر فى سنوات صباك ومراهقتك ، وأرى كيف
أن الجهود التى بذلناها لإصلاحك تعارضت فيما بينها ،
فإنى لا أشعر إلا بالأسى والانقباض .

سونيكا : تذكر يا مايكل أنك شقيقى الأوجد ،

وأنتى شقيقتك الوحيدة .

لم تكن فيما مضى تعيرنى أى اهتمام ، ففى مرحلة
صبانا كان لكل منا أصدقاءه .

وقد قبلت ذلك الوضع دون أى اهتمام .

ولهذا فلم أعرف إلا الآن أهمية أن يكون لى أخ شقيق .

مايكل : لا يا مونيكا . أنت تعرفين أنى أكن لك كل محبة ،

مع أننا لم نتشابه فى الميول والمشارب . وأذكر أننى
عندما كنت أعود فى العطلات المدرسية ،

كنت أشعر بضيق شديد كلما رأيتك جالسة ورأسك فى الكتاب .

وذات مرة اختطفت أُمنا الكتاب من بين يديك ،
وألقت به فى النار . وضحكت أنا ملء شِدْقِي !
لم تكونى تميلين إلى المزاح والمداعبة ،
وكان أصدقائى يعيروننى بأختى المولعة بالثقافة الرفيعة
ومع ذلك ، كنت أحبك ، وسأظل أحبك .
وكانت لقاءاتنا نادرة . لكن ما دمنا نتبادل المودة فليس
هناك ما يدعو إلى أن يتدخل أحدنا فى شؤون الآخر .
هسونيكا : يبدو أنك لم تفهم كلمة واحدة مما قلت لك يا مايكل .
من حَقك أن تعيش حياتك كما يروق لك بالطبع ،
كما يحق لى أن أعيش حياتى كما يروق لى . ليست
المسألة مسألة سفرك إلى الخارج ،
ولكنها مسألة الروح التى أملت عليك هذا القرار .
فإذا ارتأيت أن تنكر أباك وأسررتك . فما الذى يتبقى
بينك وبينى ؟

مايكل : لن يغير هذا شيئاً فى الوضع فسوف أعود من وقت إلى آخر .

هسونيكا : لكن كيف ستكون عندما تعود ؟ على أننى سأزعم

لنفسى ، مهما تغيرت شخصيتك ، أنك لا تزال شقيقى
مايكل .

تشارلز : ومتى ستغادر إنجلترا ؟

مايكل : عندما نوفق فى الحصول على مكان بالسفينة .

ويجب على أن أشتري بعض اللوازم . سنذهب إلى لندن
بعد قليل ،

وسيهتم السنيور غوميز بتدبير ما يلزمنى لمواجهة
الأحوال الجوية هناك .

وله أصدقاء فى شركة الملاحة سيساعدون فى حجز
الاماكن .

كارجيل : ما أجمل اهتمامك ياسنيور غوميز بتدبير كل شىء .

بمجرد أن قدمت له اقتراحى كان قد أعد كل شىء .

الحق أنه كان من وحي تفكيرى الخاص !

هل أنت مصغ لى يا ريتشارد ؟

يبدو أنك شارد الذهن ، بدلا من أن تكون مبتها .

الورد : أهذه هى لحظة الوداع يا مايكل ؟

مايكل : هذا يتوقف على الظروف .

غير أننى أستطيع أن أحضر مرة ثانية إذا كان هناك ما

يدعو إلى ذلك .

ولو أنتى أرى أنه عندما يتخذ المرء قراره ، فمن الأفضل
أن يبادر إلى الوداع ، ويفرغ منه بسرعة .

الليورد : إذا كنت قد عزميت على الرحيل - وليس لى أن أحول
دون ذلك .

فإنى أوافقك على أن خير البر عاجله .
وقد لا نلتقى ثانية يا مايكل .

مايكل : لا أرى ما يدعو إلى عدم التقائنا ثانية .

غوهيز : بعد خمس سنوات سيحصل مايكل على إجازته الأولى .

مايكل : إذن لم يبق هناك مجال لأى قول .

الليورد : على الإطلاق .

مايكل : إذن ينبغي لنا الانصراف .

غوهيز : نعم ، ينبغي لنا الانصراف . ستجد يا دك أنك مدين لى
بالشكر فى النهاية .

كارجيل : ليس الأب أفضل من يحل مشاكل ابنه يا ريتشارد .

فأحياناً يمكن لشخص غريب ، صديق للعائلة أن يرى
الأمر بوضوح .

غوهيز : لست أدعى لنفسى فضلاً فى ذلك ، فقد كان الأمر مجرد
ضربة حظ سعيد ،

وأنتى جئت إلى إنجلترا فى نفس اللحظة التى استطعت

فيها تقديم المساعدة .

مسز كارجيل إنه توفيق من العناية الالهية .

: إلى اللقاء يا مايكل . هل تأذن لى فى الكتابة إليك ؟

مونيكا : حسنا فعلت إذ ذكّرتنى ، هذه هى بطاقتى ، تحمل

غوميز : العنوان الكامل .

ويمكن توجيه الرسائل إلى هذا العنوان ، وإن كانت

تستغرق بعض الوقت ، حتى بالبريد الجوى .

احتفظ بالبطاقة يا تشارلز . وإذا كتبت إليك يا مايكل

مونيكا : هل سترد على خطاباتى ؟

بالتأكيد يا مونيكا ، وإن كنت تعرفين أننى لا أكثر من

هايكل : الكتابة لكننى سأرسل لك بطاقة من حين إلى آخر

تطمئنك على أننى حى أرزق .

نعم ! اكتب إلى مونيكا .

السورد : والآن إلى اللقاء يا دك ، إلى اللقاء يا مونيكا .

غوميز : إلى اللقاء يا مستر هيمينجتون .

إلى اللقاء يا مايكل .

مونيكا : (يخرج مايكل وغوميز)

أخشى أن وقع المفاجأة عليك كان شديدا يا ريتشارد ،

كارجيل : لكن لدى نبأ بسيط ،

وهو أنتى سأذهب فى الخريف القادم إلى أستراليا ،
بناء على نصيحة طبيبى .

وفى طريق عودتى ، سأزور سان ماركو بدعوة من
السنير غوميز .

ولهذا فأنا فى غاية الלהفة ! غير أنه من أشد دواعى
سرورى أنتى سأستطيع أن أنقل إليك أخبار مايكل .
أما الآن ، فبعد أن عثر كل منا على الآخر ، علينا أن
نبقى على هذه الصلة بيننا .

لكن يحسن بك أن تخذ إلى الراحة الآن ، إذ يبدو أنك
متعب قليلا .
سأذهب لتوديعهما .

(تخرج مسز كارجيل)

أبتاه ! أبتاه

هونيكا : إنى فى شدة الأسف . ولكن من يدرى ؟
فقد يتعلم مايكل درسه . أعتقد أنه سيعود يوما ،
وإذا صادف الفشل فى حياته فإن الحنين إلى الوطن
سيعيده إلينا .
أما إذا كان حليفه التوفيق ، فسوف يعطيه هذا ثقة
بالنفس .

إن كل ما يعوزه هو الثقة بالنفس . أبى ! إن مايكل لا
يهجرنى أنا ، ولا يهجرك ، بل يهجر نفسه ،
تلك النفس البائسة التى يحس نحوها بالخجل .
وأنا على يقين من أنه يكن لنا كل حب .
يا عزيزتى مونىكا . إن ما تقولين يلقى لدى قبولا .

اللورد : ولست أخشى عليه إلا من سوء ،

ومع ذلك فأنت على صواب إذ تأملين أن يكون أكثر
توفيقا . وعندما يعود - إذا شأته له الأقدار أن يعود -
فإنى موقن أنك وتشارلز لن تألوا جهدا فى جعله يشعر
أنه ليس منبوذا منكما .

هذا بكل تأكيد وسوف نرحب به أيما ترحيب ، ونقدم له

تشارلز : كل عون .

لكن الأمر يحتاج إلى جهودكما معا - أنت ومونىكا -
لكى تجذبناه نحوكما .

لن أكون موجودا عندئذ .

اللورد : لقد سمعتنى أقول له إن هذا ربما يكون وداعنا الأخير .

وأنا على ثقة من ذلك الآن . وربما يكون هذا هو الحل
الأمثل .

ماذا تعنى يا والدى ؟ ستكون فى استقباله عندما يعود .

مونیکا : غير أننى الآن واثقة من أمر واحد : لابد أن تغادر
(بادجلى كورت) .

إن مونیکا على صواب . ينبغي أن تخرج .

تشارلز : قد يدهشكما أنى أحس بالسلام الآن ،

الورد : ذلك السلام الذى يجىء فى أعقاب الندم والتوبة ،
عندما ينبع الندم من معرفة الحقيقة .

إنى أتساءل لماذا كنت دائما أميل إلى السيطرة على
أبنائى ؟

لماذا رسمت طريقا ضيقا لمايكل ؟ لأننى أردت أن أضمن
لنفسى الخلود عن طريقه . ولماذا كنت أميل إلى
الاحتفاظ بك لنفسى يا مونیکا ؟

لأننى أردت أن تهيب حياتك لعبادة ذلك الرجل الذى
زعمت لنفسى أننى هو ، وليتسنى لى أن أصدق مزاعمى .
لم أشعر إلا الآن بانبثاق نور الحب . ويخيل إلينا جميعا
أن نعرف معنى الحب ،

لكن ما أقل أولئك الذين يعرفونه على حقيقته . والآن ،
أشعر بالسعادة ، على الرغم من كل شئ ، وأحس أن
السعادة قد مستنى بجناحها .

«كفى! أشعر بالسعادة يا مونیکا لأنك وجدت رجلا يمكن

أن تحبيه من أجل شخصه .

والدى ! لقد كنت أحبك دائما ،

هونيكا : ولكنى أحبك أكثر ، منذ عرفتك عن كثب ،

هنا فى (بادجلى كورت) . كما أننى أحبك أكثر ، لأننى
أحب تشارلز .

نعم يا عزيزتى . إنك تحبين تشارلز الحقيقى ، لا تشارلز

الـورد : الوهمى ، كما كنت تحبيننى .

الآن يا أبتاه

هونيكا : إن ما أحبه هو شخصيتك الحقيقية ، الرجل الحقيقى

فيك ، لا الرجل الذى خيل إلى أنه أنت .

أما عن مايكل ، فإنى أحبه حتى لتخليه عنى ،

الـورد : إذ إن نفسى تلك التى تخلى عنها ، ها أنا أيضا أنكرها

وأتخلي عنها

لقد تحررت من قيد الذات التى تدعى أنها كائن آخر .

وحيث إنى تجردت من الذات ، فإنى أبدأ الآن فى الحياة

إن الموت ليهون فى سبيل معرفة معنى الحياة .

وأنا أحبك يا ابنتى ، حبا أكثر عمقا ،

وذلك لمعرفتى أن هناك شخصا آخر تحبينه أكثر من

أبيك ،

شخصاً يبادلك حباً بحب ، وحيث إننى الآن أشعر
بالحب نحو مايكل ، للمرة الأولى على ما أعتقد -
ولا تنسى يا عزيزتى أننى مازلت مبتدئاً فى ممارسة
عاطفة الحب - فهذا أمر يستحق التقدير .
والآن سأترككما برهة .

هذه أول مرة تزورنا فيها يا تشارلز فى (بادجلى كورت)
ولم تكن تتوقع على الإطلاق أن تنتهى على هذا النحو ،
ويؤسفنى أنك رأيت فيها كثيراً من الشخصيات والمواقف
غير السارة .

ويحق لكما الآن أن تختليا ببعضكما البعض .
إنى أستودعك مونيكا يا تشارلز ، وهى فى رعايتك الآن وبوما .
سأخرج للتريخ قليلاً .

فى مثل هذه الساعة ؟ أرجو ألا تذهب بعيداً .
مونيكا : ولا تنس أنه لم يسمح لك بالخروج فى مثل هذه الساعة
المتأخرة ، وفى مثل هذا الطقس البارد .
إن الجو يزداد برودة عند الغسق .
نعم ، تزداد البرودة عند الغسق . لكننى لن أشعر بالبرد
اللورد : ولن أذهب بعيداً .

(يخرج اللورد)

إنه يختلف كل الاختلاف عما كان عليه ،

تشارلز : ويبدو كما لو كان قد مر خلال باب لاتراه عيوننا ،

واستدار ، ثم ألقى علينا نظرة وداع .

لست أفهم ما الذى حدا به إلى الخروج للتريض الآن .

هونيكا : أراد أن يتركنا بمفردنا بعض الوقت .

تشارلز : نعم ، أراد أن يتركنا بمفردنا ،

هونيكا : ومع هذا يا تشارلز ، مع أننا لم نختل سويًا إلا بضع

دقائق .

فقد كنت أشعر طوال الوقت ..

إنى أعرف ما تريدین قوله !

تشارلز : لقد كنا منفردین سويًا ، بطريقة غامضة ،

حتى فى وجود مايكل ، ورغم وجود الآخرين ،

لأننا بطريقة ما ، بدأنا نشعر بالاتحاد والانتماء ، وهذا

الشعور ...

هو الدرع الذى يحمى كلينا .

هونيكا : بحيث إننا نحس الآن بوجود شخص جديد

تشارلز : هو أنت وأنا معا .

عزيزتى إنى أحبك إلى أقصى ما يمكن للكلمات أن تعبر

عنه .

إلى أبعد من ذلك . وغريب أن محاولة التعبير
تقف عاجزة قاصرة .

ومثل توقف مريض بالربو يكافح من أجل التنفس ،
يكافح المحب من أجل الكلمات القادرة على التعبير .
لقد أحبيبتك منذ نشأة العالم ،

هونيكا : قبل أن يولد كلانا ، كان هناك دائما – الحب الذى جمع
قلبيينا .

أبتاه ! وا أبتاه ! كم أود أن أتحدث إليك الآن !

تشارلز : فلأذهب للبحث عنه .

هونيكا : لنذهب سويا . ما أقربيه إلينا .

مع أنه ذهب أبعد مما يمكنه من العودة إلينا إنه هناك ،
تحت شجرة الزان . وهى بقعة هادئة باردة .

لقد استعاد شخصيته عندما تخلص عن كل شخصية ،
ولم يعد الآن سوى والدى ، ووالد مايكل .

وإنى لسعيدة . أليس من الغريب يا تشارلز . أن أشعر
بالسعادة الآن ؟

لا غرابة فى ذلك البتة .

تشارلز : فقد سكب الميت بركته على الأحياء

لن أخشى الهرم ولا الذبول ،

سونيكا : ولن يخيفني الحرمان ولا تقلب الزمان
ولن يستطيع الموت نفسه أن يصيبني برعب أو هلع
مادمت راسخة في يقين المحبة .
إنى أحس لديك بمنتهى الدعة والأمان ، فأنا جزء منك .
والآن ، خذ بيدي إلى والدي .

ستار

المشروع القومى للترجمة

ت : أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا
ت : أحمد فؤاد بليغ	ك. مانهو يانيكار	الوثنية والإسلام
ت : شوقي جلال	جورج جيمس	التراث المسروق
ت : أحمد العسرى	انجا كارستكوفا	كيف تتم كتابة السيناريو
ت : محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا فى غيبوبة
ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد	ميلكا إيفيتش	اتجاهات البحث اللساني
ت : يوسف الانطكى	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة
ت : مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشغلو الحرائق
ت : محمود محمد عاشور	أندرو س. جودى	التغيرات البيئية
ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزبى وعمر حلى	جيرار جينيت	خطاب الحكاية
ت : هناء عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	مختارات
ت : أحمد محمود	ديفيد براونستون وايرين فرانك	طريق الحرير
ت : عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميت	بيانة الساميين
ت : حسن المودن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى والأدب
ت : أشرف رفيق عفيقى	إدوارد لويس سميت	الحركات الفنية
ت : لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب	مارتن برنال	أثنية السوداء
ت : محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات
ت : طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية
ت : نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة
ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصة العلم
ت : ماجدة العناني	صعد بهرنجى	خوخة وألف خوخة
ت : سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين
ت : سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل
ت : بكر عباس	باتريك بارنر	ظلال المستقبل
ت : إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مثنوى
ت : أحمد محمد حسين ميكل	محمد حسين ميكل	دين مصر العام
ت : نخبة	مقالات	التنوع البشرى الخلاق
ت : منى أبو سنه	جون لوك	رسالة فى التسامح
ت : بدر النيب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود
ت : أحمد فؤاد بليغ	ك. مانهو يانيكار	الوثنية والإسلام (ط ٢)
ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب	جان سوجاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
ت : مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روس	الانقراض
ت : أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هوبكنز	التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية
ت : د. حصة إبراهيم المنيف	روجر آلن	الرواية العربية

ت : خليل كلفت	بول . ب . نيكسون	الأسطورة والحداثة
ت : حياة جاسم محمد	والاس مارتن	تطبيقات السرد الحديثة
ت : جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	واحة سيوة وموسيقاها
ت : أنور مفيث	آلن تورين	تقد الحداثة
ت : منيرة كروان	بيتر والكوت	الإغريق والحسد
ت : محمد عيد إبراهيم	أن سكستون	قصائد حب
ت : عطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ملج	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوربية
ت : أحمد محمود	بنجامين بارير	عالم ماك
ت : المهدي أخريف	أوكتايفو پاث	الذهب المزدوج
ت : مارلين تابرز	ألوس هكسلي	بعد عدة أصياف
ت : أحمد محمود	روبرت ج دنيا - جون ف أفانين	التراث المغفور
ت : محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه وليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث
ت : ماهر جويجاتي	فرانسوا بوما	حضارة مصر الفرعونية
ت : عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	الإسلام في البلقان
ت : محمد بريدة وعثمانى الملود ويوسف الأنطكي	جمال العين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
ت : محمد أبو العطا	داريو بيانوفيا وخ . م بينياليستي	مسار الرواية الإسبانية الأمريكية
ت : لطفى فطيم وعادل دمرdash	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج .	العلاج النفسي التبعي
ت : مرسى سعد الدين	روجسيفيتز وروجر بيل	الدراما والتطيم
ت : محسن مصيلحي	أ . ف . النجتون	المفهوم الإغريقي للمسرح
ت : على يوسف على	ج . مايكل والتون	ما وراء العلم
ت : محمود على مكي	جون بولكنجهوم	الأعمال الشعرية الكاملة (١)
ت : محمود السيد . ماهر البطوطي	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
ت : محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان
ت : السيد السيد سهيم	كارلوس مونييث	المحيرة
ت : صبرى محمد عبد الفتى	جوهانز ايتن	التصميم والشكل
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان
ت : محمد خير البقاعي .	رولان بارت	لذة النص
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه وليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)
ت : رمسيس عوض .	آلان رود	برتراند راسل (سيرة حياة)
ت : رمسيس عوض .	برتراند راسل	في مدح الكسل ومقالات أخرى
ت : عبد اللطيف عبد الحليم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية
ت : المهدي أخريف	فرناندو بيسرا	مختارات
ت : أشرف الصباغ	فالتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى
ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمي	عبد الرشيد إبراهيم	العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج وديريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية

السيدة لا تصلح إلا للرعى ✓	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز ✓	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ملاح الدين والمعاليك فى مصر ✓	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
فن التراجىم والسير الذاتية ✓	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من الكتاب	ت : محمود على مكى
العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكويتية ✓	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	يوريس أوسبىنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
مسألة العولة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى سليمان
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى

(نحت الطبع)

تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	تون والقلم
المختار من نقد ت . س . إليوت	الحب الأول
منصور العلاج	أوبرا مافوجونى
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	عالم التلفزيون بين الجمال والعنف
الجماعات المتخيلة	حروب المياه
تاريخ السينما العالمية	ثلاث زنبقات ووردة
مسرح ميجيل دى أونامونو	الأدب الأندلسى
مختارات من المسرح الإسباني	الأدب المقارن
صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	راية التمرد
الابتلاء بالتفرب	السياسة والتسامح
طول الليل	

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٢٢٢ / ١٩٩٨

الترقيم الدولي (6 - 041 - 305 - 977 - I. S. B. N.)



The Elder Statesman

مسرحية «السياسى العجوز» هي آخر المسرحيات الخمس التى ألفها ت. س. إليوت، وهى عمل مسرحى هادئ وعميق تتجاوب فيه أصداء شتى لأفكار وخواطر سبق أن ترددت فى عديد من أعماله الشعرية والمسرحية، كما تنعكس فيها بعض ملامح شخصية إليوت فى السنوات الأخيرة من حياته .

الشخصية الرئيسية ، فى هذا العمل المسرحى ، هى اللورد كلافرتون ، وهو رجل كهل ، معتل الصحة ، يعانى من أمراض الشيخوخة المبكرة ، ويعيش فى عزلة بعد حياة حافلة بالنشاط السياسى والعمل .

إن الهيكل العام لهذه المسرحية ، وتصوير إليوت لفكرة الماضى وأشباهه ، وما لهم من تأثير على الحاضر ، مقتبس من الدراما الإغريقية ، وهذا الاقتباس هو السمة الرئيسية التى تتجلى فى جميع مسرحيات إليوت .